

كلا حين الجبل

ديوى : ٨١٣

مصطفى ، أمير

كلايين الجبل / أمير مصطفى

الإسكندرية : حناء للنشر

ط ١ / ٢٠١٥

ط ٢ / ٢٠١٦

١٧٦ ص ، ٢٠ سم

تدمك : 9-1-85187-977-978

١- قصص

٢- كليات الجبل

أ- أمير مصطفى

رقم الإيداع : ٧٣٨٠ / ٢٠١٥

{ جميع الحقوق محفوظة © }



الإسكندرية ، ج . م . ع

٠١٠١٨٨٣١٣٦١

٠١٠٢٢٨٤٢٨٩٨

المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار

الإخراج الفني : أمير مصطفى

كلا حين الجبل

رواية

أمير مصطفى



oboiikan.com

هذه الرواية

الفائزة بالمركز الاول

فى المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة عام ٢٠١٤
" المخطوطة "

الفائزة بالمركز الأول

فى مسابقة ربيع مفتاح الادبية عام ٢٠١٦
" مطبوع "

كتب في العام ٢٠١٠

الطبعة الأولى ٢٠١٥

الطبعة الثانية ٢٠١٦

" إن أصدق قبلة يتلقاها الرجل في حياته ..
هي قبلة على خده من زوجته الخائنة
إثر توديعها إياه قبيل سفره الطويل .. "

{١}

لا يمكن وصف البكرى أبداً بالسذاجة ، وما كان لصبور أن يعيث
معه ويظنه أبلهاً .. سيقى غافلاً عن فعلته ويتركه يمرح بماله ،
وفراشه المستورد — أمريكى الصنع — مع تلك العاهرة التى لا تشبع
أبداً ..

بلقيس .

بلقيس ..

حلم كل رجال (على سالم) الماشى على عقبين فى حمرة البرقوق
الصباح ، واستدارة بنورة الساعات الإنجليزية متقنة الصنع.
بلقيس ...

عجينة الأنوثة وخميرة الدلال اللتان صنع منهما باقى نساء العالم.
بلقيس ...

مهرة كلاحين القبلىة الحرنانة العاصية للترويض على أى شارب.
الأنثى التى ما إن تظهر على باب دارها حتى ترجف قلوب النساء ،
وتذهب عقول الرجال وتختال عقول المراهقين من فتنها ..
وللأسف زوجته.

حتماً كان أبوه محقاً عندما عارض زواجه منها لدرجة ضربه بالكرباج السوداني ، وهو (شحط) في الجيش يرتدى (الأفرو الميرى) ، ويفتح ثغرة في عمليات الاستتراف ، حتى عصاه البكرى وتزوجها دوناً عن كل حريم (على سالم) ، فضربه أبوه بالنبوت ليكسر له ضلعين ، ويرقده في المستشفى ستة أشهر حتى يحن قلبه أخيراً على ولده فيسامحه.

لكن البكرى ، كان مخطئاً حينما دّل صبوراً حتى أفسده.
صبور ..

الذى لم يصن حرمة الدم ، ولا لحم أخيه .
صبور النجس الذى لا يغتسل من جنابته الحرام لعدة أيام متتالية ، نظراً لضيق وقته بين الخيانة والأخرى.

صبور الذى حجز مكاناً فى جبانة النجع لهما معاً.
الليلة يقتلها وهما يتفافزان على مرتبته (التاكى) من نشوة المتعة الحرام ، ثم يوارى الجثتين فى الأرض البحرية ويفسر غياب صبور للجميع بسفره للجامعة ، وحينما يطول غيابه يلتاع ويجزع ويهرع يبحث عنه هو وكل أقاربه حتى يصبح صبور .. خرج ولم يعد.

أما بلقيس ، فلم يعرف بعد بماذا سيرر اختفاءها ، ولو كان الأمر بيده لذبجهما معاً فى وضح النهار على رؤوس الأشهاد ليغسل عاره ويسكر بدمائهما ، ولكن ما باليد حيلة ، فلا يجب أن تناله الحكومة ، فمن يبقى لابنتيه من بعده ؟

هالة وصفية ..

أجمل بنات النجع اللتين ورثنا جمال بلقيس وروعة إشراقتها حينما تضحك.

بلقيس .. التى لم تراعى أمومتها وتركت فرجها لصبور كى يلعبه ، حتما كان يلعبه و يعضها من حلمتها ، ألم تكن تطلب ذلك منه وكان يضربها ويتهمها بالعهر ، ما كانت تمنحه (شرفها) لو لم يكن أغواها بأساليب الأوساخ والشواذ التى تعلمها من موسسات القاهرة وأجنيبات شرم الشيخ.

الليلة يا بلقيس آخر ليالى خيانتك ، عسى أن تستمتعى بها لتعوضى الخمس عشرة سنة اللواتى قضيتها حافظة فرجك له وحده. الليلة يا بلقيس ، وهذا وعده الذى لم يخلفه منذ البلوغ.

يقول أبو طه، وهو يرص الحشيش فى دقة - كأنه (أجزجى) يحضر (لبخة) :

- مالك يا بو عثمان ، مسهم وشايل (عباكدر) ليه ؟

كان البكرى يسحب الجوزة بكامل عافيته ويطقطق الحجر بجهد
مضن وافتعال فاضح كأنه يسجل فيلما وثائقيا عن الحشاشين ،
ويضرب مثالا للأجيال القادمة فى فنون الشد والكتم ، ثم نفث
سحابة دخان من صدره تسد عين الشمس فى موسم الحصاد
وأجاب:

- معلهش يا أبو طه أصل مشاكل الشغل (كدّ إكده) . وآنى
المفروض نازل مصر ، وبضاعتى مرمية فى الميناف لاسكندرية
وحاجة (مخربطة) ، طجيت م الشغل والعيال والنجع ، لجيت نفسى
مخنوج جلت آجى حدك نشربوا حجرين واتونس بحديثك وبعدين
أتوكل.

- تآنس وتشرف وأشيلك على راسى يا بكرى ، أنت عارف كد
إيه معزتك عندى من أيام لعراج.

- تعيش يا محمود بس وحياتك تزعق لنا ع الشامى عشان عايزه
ف موضوع إهمم.

- يلزمك إيه وآنى أوجد هولك يا واد خالى.

- ووه يا أبو طه ما تسمع الحديث يا خوى.

- حاضر يا صاحى بس نتغدوا الأول وبعدين أجيبهولك لحديثك.

- لا دلو كيت يا أبو طه أنا عاوزه ضرورى.

- جُلّت لك حاضر بس أسحب أنت وأنا راح أبعت حد م الولد
يحبّه.

ظل البكرى يسحب وينفخ ويطقطع ، وعاد أبو طه من الخارج
ليستأنف عمله في (التكريز) والتسليك ورص الأحجار والشد
بالمناوبة مع البكرى، حتى جاءهم الغذاء ، فظلاً يعضغان ويكرعان
البيرة مع الطعام — وهى عادة اكتسبها من زملاء مصريين أثناء
عملهما في العراق — وزاد عليهما سيد الشامي فاستمرت معركة
النهش والهبر ، وممصصة العظام وتلك عادة صعيدية قديمة لاختبار
الرجولة في كل شيء حيث البقاء دائماً للأقوى ، واللجنة على
الرقيع الذى يستسلم أولاً في أى شيء ، سواء كان أكلاً أم كيفاً أم
تدخيناً أم حتى جنساً ، وهذه الأخيرة تكون في عشش الدعارة ،
وبيوت المزاج حيث يحسب كل واحد منهم الوقت الذى قضاه
الأخرين مع (المرّة) .

وهكذا استمر الحال حتى خلت الصحون من محتواها الذى كان
يكفى لإطعام عشرة رجال (عتاوله)، فانتفخت البطون ، وتاهت
العقول ، و ثقلت الأنفاس ، وزادهم الشامى بواجب من الأفيون

وظل أبو طه يقطع من أوقية الحشيش ويرص، والبكرى يستحلب الأفيون تحت لسانه ويسحب أنفاس الجوزة ، ويتبول ست مرات — بفعل البيرة — حتى آذان العشاء .. فتذكر أنه طلب الشامى كى يشتري منه كاتم صوت لمسدسه الحلوان ٩ مم.

فحضر الشامى بعدها فى تباطؤ ، وذهب ساعتين كى يعود بكاتم الصوت من منزله الذى يبعد عن منزل أبي طه بمسافة مائتى متر ، وهكذا أنهى البكرى جلسته معهم ، وفحص ليستكمل طريقه إلى القاهرة — كما زعم — وغادر دار أبي طه عند منتصف الليل.

كان البكرى هو فعلاً الابن البكرى للحاج عثمان جيد .. أكبر تاجر طماطم فى نجع (على سالم) ، صحيح أن النجع واحد من أفقر نجوع كلاحين القبيلة ، القرية التى لا يعرفها سوى مأمور مركز (قفط) ، ومدير الأمن بقنا، ولكن من قال إن الحاج عثمان فقير، لقد صافح عبد الناصر شخصياً وهو يمنحه خمسة فدادين بعد عودته من اليمن إبان الحرب ، فظل يفلحها هو وشقيقه منصور حتى مل منصور الفلاحة ، فترك الأرض لعثمان ونزح إلى القاهرة كى يبيع عافيته لمن يدفع أكثر حتى مجيء سنوات النعيم المسماة بالانفتاح ، فصار منصور من أكبر مقاولى البناء ، وظل يرسل لأخيه النقود كى يشتري المزيد والمزيد من الأطيان ، بينما هج البكرى مع هوجة

السفر للخليج ليساهم في زيادة الرقعة الزراعية المملوكة للعائلة وظل الجيايدة — وهم فرع من أولاد (على سالم) — يكتزون الذهب ويرتقون السلم الاجتماعي (المعدل) حتى صاروا تجاراً كباراً، أو كما يقولون في الجرائد رجال أعمال الانفتاح ، وبكوات العهد الجديد ، وصارت أرض الجيايدة أكبر أرض في النجع بخلاف مصنع الصلصة في قفط ، وعمارة بالمسلح في النجع ، وأخرى بقنا المركز ، خلاف عمارات منصور بالقاهرة ومحاله ، وعدة سيارات نقل ثقيل و(أشياء أخرى).

ولأن البكرى هو الذكر الأكبر لأربع شقيقات ، فكان لزاماً عليه أن ينضج قبل الآوان ويبقى الذراع اليمنى لأبيه ، ويقضى عمره في مطاردة الجنيهاً حتى سافر العراق في عزها — بعد الحرب مع إيران — ليعود بتجارة جديدة هي تجارة الأدوات الصحية ، ويصير من كبار تجارها ثم مستورديها فيما بعد، وكل هذا وهو ما زال مقيماً في (على سالم) لم ينقل أسرته إلى القاهرة عند عمه أو إلى الإسكندرية عند أخته خوفاً على ابنتيه من أهل المدينة ، وخوفاً على مصالح العائلة أن تترك بلا مباشرة منه ، وهكذا اكتفى بفايز — وكيل النيابة — ابن شقيقته فوقية المتزوجة من ابن عمه كى يرعى مصالحه هناك ، وكان يقضى أيامه في الإسكندرية عند فوقية ، وأيامه

فى القاهرة فى شقته الفاخرة فى شارع السودان ومعه عمه منصور، وعادل أصغر أبنائه ، اللذان يقطنان ذات البرج المسجل باسم زوجة عمه (عشان الضرايب) ، ويبقى مقيماً حتى يتأكد من سير نظام العمل كما وضعه ، ويذكر موظفيه أنهم تحت رقابة مجهرية ، ويرضى غروره الفرعونى الأصيل بإصدار الأوامر و(شدة المحل الميرى) فور سماعهم (كلاكس التمساحة)، ثم يراجع الحسابات وبعدها يعود مكدساً بالأموال ، محملاً بالهدايا من أجل عيون بلقيس اللوزيتين.

وربما هذا ما دفعها لحياته مع صبور شقيقه الأصغر ، الذى كان بالأحرى له أن يكون ابنه.

صبور ..

الذى رباه فى بيته بعد وفاة أبيه وهو لا يزال فى الإعدادية.

صبور ..

الذى أصّر البكرى على تعليمه (أحسن علام) حتى ألحقه بكلية التجارة فى القاهرة ، كى يتعلم أساليب الإدارة ، وفنون زيادة الثروة على أصولها.

صبور الذى سيقته البكرى عارياً غارقاً فى الليل من عرق بلقيس
وسوائل مهبلها الناعم الأبيض كبيض (سوتها) الرجاجة.

كان الفجر يوشك على الانبلاج ، وهو يتسلل عائداً إلى النجع من
طريق الجبل بعد قضاء يومه مستتراً فى أبو طشيت عند محمود أبي
طه - صديقه الأثير ، و بعدها ترك سيارته فى مغارة يوصل إليها
مدق مهجور لا يعلمه كثيرون كان يخفى فيها الحشيش قبل نقله
لأبي طه الذى يتولى توزيعه.

وراح يمشى حثيثاً فى الطريق إلى منزله ، وهو يستتر بالظلمة حتى
(يكبس) عليهما دون أن يشعر به أحد ، حتى لاح له منزله فى الأفق
، فثبت كاتم الصوت فى مسدسه ، وتسلى إلى المنجرة وزحف على
الدرج إلى الدور العلوى للدار كاتماً أنفاسه محاولاً ألا يصدر أي
حركة تشى به ، كان يريد أن يرى الذعر والهلوع فى عيونهما قبل أن
يتوسلا إليه ، وهو يسحب الأجزاء ويضغط (التتك) — أو ربما كان
يريد أن يرى كيف يفعلها صبور — ولكنه حتى لو (مؤل) على
الربابة مثل سيد الضوى ما كانا سيشعران به وسط نشوة الجنس
الشبيهة بنشوة المساطيل.

وأمام حجرة نومه — حجرة نومه التي ثمنها يفوق ثمن دار في البندر
— لم يتمالك نفسه وتأوهات النشوة تمزق طلبتي أذنيه ، بينما
بلقيس تطلب المزيد ، وصوت صبور وهو يناديها (يا لبوة) يهلهل
رجولته ، وينثر عليها منيه.

هجم البكرى على حجرة نومه كهجمته على مستودع بيت حانون
الإسرائيلي ، أو ربما أشد بطشاً ، شاهراً سلاحه مغيب العقل بفعل
الكيف ، والخيانة ، والقهر الذي انتابه وهو يتذكر سحريتها من
(كرشه) و(غشمه) و(قلة وقته).

oboiikan.com

" إن أفسى حالات الرعب ..

هى تلك التى تجتاح رجلاً عارياً يمارس الجنس مع امرأة
متزوجة ، بينما يفاجئ بزوجها المسعور مقتحماً الغرفة شاهراً
سلاحه "

اندفع البكرى إلى الحجرة محطماً بابها ، نافر العروق ، محتقن الدماء،
كأنه غول الجبل وانفرد بأحد الضالين.

البكرى ..

الذى كل صفة من كفه تعنى كسراً في الفك ، أو على أقل تقدير
سناً ناقصة.

البكرى ..

الذى قتل (غريب) بستة طلقات في جمجمته ، لأنه بصق على عينة
الحشيش وهو يتذوقها قبل التسليم في الجبل.

البكرى ..

الذى يصعد الجبل وحيداً ، فتهابه المخاطر وتهرب منه العفاريث.
البكرى الذى يصوب مسدسه نحو صبور الآن، ولا مجال
للاستسلام، أو الاعتذار، أو دفع دية في (قعدة عرب).

لم يجد البكرى وقتاً كى يفهم بل لم يجد صبور وقتاً ليفهم هو ذاته،
لقد التبسه مارد الذعر وغريزة البقاء ، فلم يستوعب شيئاً غير
مشهد البكرى ممدداً على السجادة الإيرانية باهظة الثمن والدماء

تسيل من شح في رأسه الأصلع وثقين في صدره العريض ، بينما بلقيس تمسك تمثال الآلهة (باست) الأبنوسى بكلتا يديها وما زالت حلمتها نافرتين والعرق يغمرها كشالات الفيوم ، وهو يقف على (السراحة) — ولا يعرف كيف صعد هناك — ويده قابضة على فردة حلوان ٩ مم مزودة بكاتم صوت ، يتصاعد من فوهتها دخان خفيف بدأ في التلاشى.

كان لصبور عادة مقيمة يعلم جيداً أنها ستكون سبباً في مقتله شر القتلة ذات يوم، ألا وهى إنه مدلل لا يجتمل الشقاء ولا التعب، يعشق النساء ورغد العيش، والحصول على كافة متع الحياة بسهولة دون أى جهد، لذلك لم يفعل فى حياته شيئاً سوى إغواء النساء الشهيات الثريات، فهو بالرغم من إرثه الفاحش من أبيه إلا أن البكرى — كبير العائلة — كان مقتراً عليه، ظناً منه أن كثرة المال مفسدة، فما كان مصروفه من البكرى يكفيه ثلاثة أيام فى الشهر، وكان لابد له من إيجاد بدائل سهلة، أحياناً كان يتطفل على إحدى شقيقاته، وأحياناً كان يرافق فتيات الليل مستغلاً وسامته وعذوبة حديثه، وخبرته فى شئون النساء، فيبقى ملكاً متوجاً وسطهن، يتدلل عليهن حتى يهبه أجرتن من ليالى العذاب فى أحضان الرجال (القذرين) العنيين الآخرين.

ولكن كل هذا كان فتاتاً حتى نضجت الثمرة، وسقطت في حجره
طيبة شهية يسعى لالتهامها، فلم يكذب خيراً.
بلقيس ..

التي جاءت الدنيا كي تعلم الرجال معنى الأنوثة.
بلقيس ..

التي ربه مراهقاً (فأحسنت ربايته)
بلقيس ..

التي كان يشاهدها تستحم من بين خصاص شفاط البخار — الذى
عطله خصيصاً لهذا الهدف — كانت والمياه تترقرق في دلال على
بشرتها المائلة للحمرة، وانشاءات جسدها البض رقيق الانحاءات تبدو
أجمل من جنيات الحواديت ونجمات هوليود.
كانت وبخار الماء يغلف مفاتها — كأنه يحفظها من الخدوش —،
تثير في قلبه الفتي ما لم تقدر عليه أى مومس محترفة في فيلم جنسى.
بلقيس ..

التي كانت في ليالى سفر زوجها الطويل تستدعيه لحجرتها كي يقرأ
لها ترجمة الأفلام الأجنبية.

كان البكرى أول من امتلك في كلاحين كلها جهاز فيديو يابانى
الصنع، وطبق استقبال (١٢٠ متحرك) وارد إيطاليا، كان البكرى

أعلم أهل الأرض بفتنة زوجته، ولذلك فقد حبسها في منزله وأتاح لها كافة وسائل الرفاهية في سجنها الفاخر هذا.

كان صبور يقعى على الأرض تحت قدميها، بينما هي تستلقى على الأريكة وتتابع أحداث الأفلام الرومانسية في لوحة حقيقية لم يفهمها صبور في وقتها، بينما تتدلى قدمها بجوار وجهه، منمقة الأصابع مدهونة الأظفار، آية في النظافة تستثير السنة (أثنى حين) للعقها.

بلقيس ..

التي ما إن التحق بالجامعة في القاهرة، وانخرط في عوالمها السفلية فخرها، وفك طلاسما حتى عاد إليها كي يلاعبها بقواعد جديدة، كانت بلقيس تنهره كي يغير القناة إذا ما بدت مقدمات لمشهد جنسى في الفيلم وكان بسذاجة الطفولة يطيعها ظناً منه في صدق مرادها حتى صار يفعل ذلك تلقائياً حتى فهم معنى النظرة في عينيها، وفهم رجفة شفتها السفلية الخاطفة التي تحدث في مشاهد القبلات الساخنة.

بلقيس ..

التي تدرب كثيراً في القاهرة وسافر خصيصاً إلى شرم الشيخ لدى ابن عمته ، كى يصقل خبراته جيداً وأتى إليها كى يطبق عليها نتاج (بعثته العلمية).

بلقيس ..

التي لم تحتمل هجماته المتتالية ، بل وكأنها كانت تتمناها ، ولا تجرؤ على الاعتراف لنفسها بذلك.

بلقيس ..

التي أشبعت غريزته بفتنتها لدرجة جعلته يزدري كل من دونها، فلا تستحق أية واحدة أخرى لقب امرأة سواها.

بلقيس ..

التي لا يملك البكرى أن ينطق أمامها حرف اللام، فضلاً أن يقول لا كاملة.

بلقيس ..

التي أغدقت على صبور بأموالها وجسدها فصار لها عبداً مطيعاً، ولأول مرة مخلصاً لها وحدها، فلا يرى سواها من بنات حواء.

بلقيس التي تجلس الآن على كرسيها الهزاز، تنظر إليه بنظرات لم ير مثيل قسوتها من قبل، وهى تتأمل جثة البكرى المضرجة في دمائها،

وصبور يبدو أمامها كالطفل الذى بال على نفسه و ينتظر انتقام أمه الذى يعقبه دوماً لتنظيفها أياه.

(ماما) بلقيس تفكر وستقرر، ولا يسعه سوى انتظار أوامرها.

حينما أشرق الشمس، كان صبور يجلس فى غرفته مرتجفاً، لا ترحمه أفكاره السوداء، كان قد تسلل إلى حظيرة الماشية وأحضر جوالين من الخيش، وحبلًا طويلاً، وغلف بهم جثة البكرى بالسجادة الفاخرة التى طالما تشدق بئمنها فى كل مجلس، وأخفى الجثة فى سحارة السرير الأميركى الذى مل من سماع قيمته، الحق إن البكرى كان يعانى حالة متقدمة من إحداث النعمة، وكان لابد له من شر القتلة .

ولكن .. ليس بيدى صبور، صبور المدلل مرهف المشاعر الذى تحول فى أقل من اللحظة من حبيب شقى كأبطال أفلام السبعينيات إلى مجرم من العشرات الذين تملأ أخبارهم صفحات الحوادث، ولكن بلقيس تستحق أن تكون ملكاً خالصاً له، لا يتلوث فرجها بمخى رجل غيره.

بلقيس التى جعلت منه (باشا) وسط زملاء الجامعة بسيارته البيجو، التى أجبرت البكرى على شرائها له ، وبملايسه ذات الماركات

الأصلية ، وبالنقود الطائلة التي كانت تمنحه إياها من دولاب
البكرى.

بلقيس هى التى قررت إخفاء جثة البكرى تحت سريرها حتى يكون
صبور قد قام باللازم ، وحينما يجن الليل يخرج الجثة ويتخلص منها
كأن شيئاً لم يكن ، خاصة وأن البكرى فى نظر الجميع فى القاهرة
فى رحلة عمله التى تتخطى الأسبوع غالباً وبعدها يحلها ألف حلال.

ظل صبور طيلة النهار يتلوى وهو يتخيل نفسه يجز البكرى كى
يدفنه، فينهض البكرى فجأة ويمزق الأغلال عن جسده ، ثم ينقض
على عنق صبور ينهشه بأسنانه ، ويلقيه بدلا منه فى الحفرة ويهيل
عليه التراب ، ظل يتخيل بلقيس وهى تخرج صارخة من دارها
تعدو فى كل أنحاء النجع ، تولول على زوجها القليل بيد أخيه العاق
، كان يرى المشنقة وقد تدلت من سقف حجرته ، بينما فايز ابن
فوقيه يجلس على الكنبه العربى يدق بمطرقة ، ويحكم عليه بالإعدام
فيأتى عمه منصور ويضع الغمامة على وجهه ، ثم يسحب الذراع
المعدنى فتفتح الطبلية تحت قدميه ويظل صبور معلقاً فى المشنقة عبرة
لكل أهالى النجع.

كل هذا و بلقيس فى الخارج تمارس نشاطها الیومى ، وتتعارك مع
نزهة — أخته — على العجین والغسیل وكأنها لم تشارك فى جريمة
قتل ، وكان تحت سریرها خزین البیت ولس جثة زوجها.

بعد صلاة العصر هدأت الدار ، وعادت نزهة إلى دار زوجها
المجاورة لمسجد النجع ، وظلت الفتاتان فى حجرتهما یلعبان
(بالآتارى) فجاءت بلقيس إلى صبور ، ورمقته بنظرة جففت الدماء
فى عروقه ، ولم تنطق بكلمة ، نهض صبور متثاقلاً كأنه ذاهب إلى
المسئقة فعلاً ، وخرج إلى (الأرض) وبقي فیها حتى صلاة العشاء ،
وعاد بعدها إلى الدار ، وظل حیساً فى غرفته یدخن ویجرع الشای
الأسود الثقیل ، ویرتجف انفعالاً ، حتى بات وشيكاً على ذبحة
صدرية أو قرحة معدية — بالرغم من حداثة سنه — حتى انتصف
اللیل ، فجاءته بلقيس مرتدية جلباباً (رجالى) أثار هلعه خاصة وهى
ملثمة بالعمة ، حتى بدت كأحد المطارید المغير على حظيرة ثرية
بالمواشى ، وأمرته بالنهوض ، فصعدا سويا إلى الدور العلوى ،
وأخرجوا الجثة وتعاونوا حتى وضعها فى صندوق سيارته البیجو ،
فانطلق بها حتى وصل إلى أول المدق المؤدى إلى (المغارة) ، حیث
یشون البكرى بضاعته قبل نقلها للقصر ، وفوجئ صبور

بالتمساحة السوداء — ذات الأرقام الثلاثة — على المدق كأنها تعلن الحداد على القتل ، كان صبور يرتقى الصخور كى يصل إلى الكهف المرتفع نسبياً عن الأرض ، وكان يجر جثة أخيه الثقيلة ، ويلهث كالكلاب فى نهار أغسطس حتى وصل إلى (الخنزة) ، الصخرة المربعة التى تسد فتحة السرداب والى هى سر أبيه الذى ورثه البكرى ، ومرره بدوره لصبور.

سرداب ضيق شديد القدم يبدو عرضه أقل من المتر ، ويمتد لمسافة مترين فقط ، ولا يبدو عليه أية لمسات فرعونية ولا يعرف له فائدة غير تخزين الحشيش.

حشر جثة أخيه فى ذلك القبر ذى رائحة الحشيش التى (ترد الروح) ، حتى استكثر صبور هذه الفخامة على البكرى ، وبعدها أهال عليها التراب ، وردمها بإتقان — يساوى ثمنه حياته — ، ثم أعاد الصخرة إلى مكانها وأحضر من سيارته ، (جركن) الماء كى يعجن (المونة) التى أَعَدَهَا لذلك الغرض ، وهكذا لن يجد أحد البكرى حتى تقوم القيامة ، أو هذا ما يمين نفسه به كى لا يقضى ذعراً.

وعاد بعدها مرتجفاً إلى داره ، ولم يغفل إخفاء سيارة البكرى حتى يجد لها حلاً نهائياً ، واغتسل جيداً وصر ملابسه فى صرة صغيرة توطئةً لإحرقها ، وفوجئ ببلقيس التى أزال كل آثار الدماء

والعنف من حجرتها ، وكأنها تتلمذت على يد ريا وسكينة ، فبدا الحادث كأن لم يكن وتنفس صبور الصعداء أخيراً حينما بدا له أن هذه الجريمة الكاملة ، وبات يحلم بغدٍ أكثر إشراقاً ، وعالم جديد رائع كله بلقيس ، ولا وجود للبكرى فيه.

oboi.kan.com

" إن الرجل لا يشعر بمرارة اليتيم إلا حينما يطرح في فراشه
محموماً .. لا يجد من يناوله جرعة ماء "

ينهض أحمد بصعوبة بالغة ويتكئ على طرف فراشه ، وهو يجاهد للوصول إلى الثلاجة — فهو يملك ثلاجة قديمة ٨ قدم كانت في شوار أمه ، وسقطت من نظر زوجة أخيه فتركها له — ينهض كي يشرب وربما استطاع أن يصنع لنفسه كمادات مثلجة تَهَبِّط من شدة الحمى التي تنتابه.

يجرع جرعة كبيرة تموج لها معدته فيفرغها كلها على أرضية الغرفة ، فما كان يقدر على الإسراع إلى الحمام. يترنح بائساً في حالة مرضية شديدة السوء ، لابد من أن يعنى به أحد ، أى أحد ولكن رفاهية التمريض لا تتأتى لفقير وحيد في الثالثة بعد منتصف الليل.

الحل الأمثل هو "أوزو" رفيق ليالى الإحباط والجوع والمرض ، يضغط زر الدكتافون وهو يشعر بامتنان بالغ لصاحب هذا الاختراع ولأوزو الذى أصر على تشبيته بينهما بعدما مل مناداته الدائمة بعد منتصف الليل ، وبعد كثرة الشكاوى من جيرانها سكان البيت.

صوت أوزو يأتي نعلسانا متملماً ، ولكن ما أن يسمع بحة المرض في صوت صديقه حتى يهرع إليه ، وما أن يراه حتى تتتابته لوثة الهياج ، ويهرع لجلال كى يوقظه ، ويأمره (بتسخين) سيارته الأجرة وينطلقا به (للميرى) أقرب مستشفى لهم وأكبر نموذج لمعانة المصريين، وعذاهم الدائم على يد وزارة الصحة.

أشعل أوزو سيجارة لنفسه وأخرى لجلال في قاعة الاستقبال ، بينما الممرضة مفرطة البدانة تثبت (الكانيوالا) في عروق أحمد الشبيه بالخرملة الممزقة من فرط الإعياء توظفة لحقن بعض المحاليل في وريده ، طبعاً بعد العثور على الطبيب النوبتجى — الموجود في مكان سرى كأنه مطار الطاسة الحربى — كى يقرر استئناف العلاج بالمستشفى ، أو تحويل المريض (للحميات) وهى الأخرى نموذج لظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

كان أوزو قد تخطى الأربعين بسنوات قليلة لم ترحم شعره من الصلع ، بينما حافظت على تكوينه العضلى المشقوق كأنه مازال في

(الفورمة) ، ولم يقلع عن الملاكمة منذ ما يقرب من العشرين عاماً

،

وربما ساهم عمله (مكنجى) نجارة فى الحفاظ على متانة بنيانه.
كان أوزو يملك دوماً حكمة جاهزة استخلصها من كافة تجارب
حياته ، وهى أن الناس كلها ولاد كلب ، ولا ينفع معهم الطيب
أبداً.

يقولها لأحمد منذ سنين عدة ، ومع ذلك لم تحمه من الخداع ،
وضياع حقه ، وخراب بيته على يد مطلقة.

بمعجزة ما بعد مرور ساعة وربع فقط ، كان أحمد يستند على
كتف أوزو ، ويدلف إلى غرفته ، ويستلقى على فراشه ، ولم يشعر
برحيل أوزو إلا حينما استيقظ عند الظهيرة وهو فى حال أفضل.

كان أوزو منهمكاً فى عمله على (الرابون) فى ورشته المجاورة لباب
البيت ، والتي هى فى الواقع أقرب لأحمد — باعتباره يقطن الدور
الأرضى — منها لأوزو ساكن السطح ، فحياء أحمد بتلويحة من يده
، وسارع الخطى للخروج من المنطقة.

ما كان يريد الخروج ، ولا يملك الذهاب إلى عمله وقد انتصف النهار ، وصار غيابه بدون إذن أمراً واقعاً وما كان لديه مكان يذهب إليه ، ولكنه مل شقته الضيقة — غرفة وصالة — وجلسه فيها وحيداً أمام القناة الأولى ساعة الظهيرة — فترة ما لا يطيقه المشاهدون — فجنح في سيره ناحية البحر، واستقل مشروعا — ميكروباساً — حتى جليم واتجه إلى المرآب.

(جراج عابدين) ، الواقع بشارع محمود الديب أمام فيلا العمروسي ، بالطبع ماعدت الآن ملكاً لأحمد فهمي العمروسي بك وزير المعارف في حكومة صدقي باشا ، ولكنها احتفظت بالاسم مثلما احتفظت العمارة الواقع تحتها المرآب باسم عمارة العبد بالرغم من هدمها واستبدالها ببرج سكني مرتفع الأدوار.

المرآب ، وذكريات الطفولة ، وعاطف عابدين قريب والدته ، والذي اتخذ من أحمد صديقاً برغم صغر سنه، وصفقات بيع السيارات المستعملة التي أشركه فيها ، ومحاولاته الدائمة في مساعدة أحمد في إيجاد عمل مناسب ، وأول نقود حقيقية تعرف طريقها لجيبه.

جلیم ، حیث نجلاء ابنة عبد الدائم البواب الريفى العجوز ، حب
المراهقة وأحلام المنزل الواسع متعدد الغرف ، حلم السفر للخليج ،
والعودة بسيارة محترمة مثل سيارات المربأ الفاخرة التى تمنى أن
يقتنى إحداها كى يقودها إلى المعمورة و(يركن) أمام (ويمى)
ويطلب وجبة الكومبو (أم ٨ جنيه).

جلیم ، حیث عاطف بمشكلات زوجتيه الاثنتين ، والمربأ الذى
ورثه عن أبيه ، وسخريته الدائمة من كل شيء حتى من نفسه.
عاطف ..

بشهامته المفرطة ، وكرمه البالغ وحنكته فى التجارة.
عاطف ..

الذى جعل من أحمد أخاً أصغرَ، وفعل معه ما لم يفعله أخوه
الحقيقي.
عاطف ..

الجالس مع أحمد أمام المربأ فى شمس الخريف الحنون، يتبادل معه
الأخبار ويمارحه ، ويستمتعان معاً بمشاهدة النسوة العابرات فى
كامل زينتهن كأئهن فى الحفل السنوى لنادى الروتارى ، ويستعرض
معه إمكانية بيع السيارة الـ ١٣١ الخاصة بالمهندس ناجى — الدور

السادس — ، يفعلان ذلك وهما يحتسيان القهوة المحوَّجة ، ويدخنان (السوبر) التي لا يدخن عاطف غيرها منذ أيام التجنيد ، بينما يقاطعه أحياناً بالنهوض لمساعدة عماله في تحرير سيارة أو (تخصينها) بجوار الرصيف ، وهو يسبهم ويدعو عليهم جميعاً بالخراب.

حين أقبل الليل ، نهض أحمد عازماً العودة لداره واقترض من عاطف عشرين جنيهاً حتى أول الشهر ، فخرج بها على حمدي البقال كى يشتري القليل من الجبن واللانшон والزيتون وعلبة سجائر ، ويستमित على الخمسة عشر جنيهاً الباقية ، ثم يعود إلى منزله قرب منتصف الليل ، ليستبدل ملابس الخروج بملابسه المتزلية المريحة ، ويصعد لأوزو على السطح.

يقول أوزو وهو يعد الشاى بعد هذا العشاء (الدسم) :

- النهاردة جه مقاول عشان يشوف البيت.
- تانى يا عم الحاج ، من يوم الزلزال وده تالت مقاول بييجى ونقعد ونتكلم وبعدها يروح ويقول عدوا لى.
- كان البيت قديماً .. يكاد يكون أثرياً كأغلب بيوت منطقة العطارين، وحينما ضرب الزلزال مصرَ منذ عامين مضياً ، كان

رحيماً بالإسكندرية ، بينما كان كاسحاً في القاهرة الكبرى كأنه
غضبة الرب.

لم ينهر أى عقار فى المنطقة كلها ، برغم سوء حالة البيوت بها ، ولم
يترك الزلزال أثراً على بيت الشيخ رفعت — جد أحمد لأمه —
سوى تصدع فى الجدار الداخلى للدرج بطول الدور الأول كله ،
وقرار من المحافظة بالتنكيس وإزالة الدور الثانى ، وهو قرار حكومى
— (كده وكده يعنى) — ومن يومها بعدما فشل السكان فى
الاتفاق على تكاليف التنكيس ، وهم يحاولون العثور على حل أيسر
بأن يجدوا مقاولاً يهدم البيت ويبنى واحداً جديداً مكانه ، ويمنحهم
شققاً جديدة فيه وهو أمر يشبه أحلام المصريين الدائمة بالشراء
السريع عن طريق مسابقة (لبان) ، أو العثور على حقيبة جلدية
(سامسونائيت) متخمة بالدولارات ولا يملون الحديث فيه ، ولا
يبحثون عن حلول بديلة أكثر منطقية.

كان أحمد يهوى جلسة السطح فى الصيف ، حيث الهواء الرطب
ولألآت النجوم وزوم الحمام فى (غية) أوزو ، بينما الشتاء يكون
عذاباً مقيماً على السطح ، ولكن أوزو كان قليلاً ما يتزل لغرفة
أحمد ، فقد كان يفضل العزلة عن صخب الشارع ولقاء سكانه بعد

انتهاء عمله في ورشته وهو يقضى نهاره قابلاً فيها يشاكس الناس ويشاكسونه ، لهذا كان أحمد يختار دائماً في الاختيار بين محالسة صديقه في الزمهرير ، أو التفوق وحيداً في غرفته.

يقول أوزو في سخط وهو ينفث دخان آخر سيجارة في علبته :

- ما كله م الولية (السو) بسبوسة مش عاجبها الاتفاق.

- وهى مالها يا عم هى دافعة حاجة من جيب أبوها ما الراجل كان موافق يدى لكل واحد فينا شقة صغيرة ويدى أم سعيد وفاطمة وعباس والزفتة بسبوسة دى كل واحد شقة كبيرة وأهو كل واحد على قد مساحة شقته.

- ماهى مش عاجبها أنه يدين محل أعمله ورشة ، بتقولى الحق بتاع أبوك ده مش ورشة دى أوضة مسروقة ف بير السلم ومفتوح لها باب ع الشارع.

- وهى مالها هى فلوس أبوها ما الراجل ها يدىك حقل ، وبعدين دى ورشة غصبن عن عين أهلها أبوك الله يرحمه كان عامل لها ترخيص وبطاقة ضريبية وسجل تجارى ولا إيه.

- نسوان عايزة الحرق والله ، عمرهم ما يحبوا الخير لراجل أبداً.

وتلك قناعة ثابتة عند أوزو ، كراهية الحریم التي لا يستطيع أحمد أن يلومه فيها أبداً ، ولكنه كان كأي رجل طبيعي يحب النساء ويشتهي الزواج ، ولكن أوزو رأى من النساء ما لم يره في الميرى خلال سنوات التجنيد.

أوزو — واسمه عبد الحفيظ — كان الابن الثاني بعد أخيه يونس ، وله ثلاث شقيقات أصغر منه ، ماتت أمهم وهم بعد صغار ، لم يكن يونس أكمل الدبلوم وقتها ، وبعد أن توظف يونس في الحكومة ، وتزوج واستقل بحياته بعيداً ، وجد أوزو نفسه مجبراً على القيام بمهام الأخ الأكبر ، خاصة بعد فشله في التعليم مما جعله مساعداً لأبيه النجار رغماً عنه ، ومن بعدها وريثه في المهنة ، ووجد أخواته في رقبته ، فعاش من أجل (شوارهن) وزواجهن ، وأهمل نفسه حتى شارف الأربعين من عمره فحاول أن يلحق قطار الزواج ، ولم يجد أمامه سوى نورا ابنة نصار الكهربائي ساكن السطح المقابل ، والتي ظلت لسنوات تشاغله من السطح وتشاغل كل أعزب في المنطقة ، حتى تورط وتزوجها ستة أشهر فقط.

طبعاً ما كان يملك شيئاً سوى ورشته الأصلية ، ذات الماكينات الروسية الثلاث اللواتي يضاهين عمره ، وغرفته بالسطح بحمامها

الخارجى ، التى لا يعلم كيف كان يعيش فيها أبوه وأمه والخمسة أشقاء معاً.

لم تمنع نورا من زواجها فى نفس الغرفة، طبعاً بعد بعض التجديدات و(التوضييات) ، واستغلال باقى مساحة السطح بصنع (كارافان) خشب على يد أوزو ، واستخدامه كمطبخ ، ولم تكذب نورا تستقر فى عش الزوجية السعيد حتى بدأت فى إحصاء دخله ، ومراقبة زبائنه ، وعد أنفاسه ، والاستيلاء على كل مليم يملكه لتنفقه على أدوات التزيين والملابس الفاخرة ، وادعاء الرقى والثراء نكاية فى كل امرأة عادت فى المنطقة وكل رجل (مشت معاه كام شهر وسابها بسبب الجشع) ، حتى ضاق الحال بأوزو ولم يحتمل ، وزاد الطين بلة عراكها الدائم مع أخواته اللواتى يطالبن بحقوقهن الشرعى فى الورشة الموروثة ، ولم يكتفين بشباب أوزو الضائع عليهن ، ولأول مرة منذ وفاة أبيه يسب ويلعن وينهال بالصفعات على النساء الأربع — شقيقاته وزوجته — ، ويطردهن من البيت جميعاً شر طردة ، ولم تكذب كبراهن خيراً ولجأت هى وزوجها للقضاء مطالبة بحقوقها فى إرث أبيها ، وتبعها شقيقتها الأخرى ، أما نورا فقد حزمت حقائبها المكدسة بالملابس الفاخرة ، والذهب

الذى اشترته من أموال أوزو التى استولت عليها منه جبراً أو التى ادخرتها من مصروف البيت دون علمه ، وعادت لبيت أبيها كى تطلب الطلاق ، وتكبده مؤخر الصداق و(القايمه)، وكل قرش كتبه على نفسه بحسن نية قبل الدخول بها ، ومن يومها لا يطيق من الإناث سوى (لاسى) كلبته الوولف الألمانية نقيّة السلالة ، والممثلات الأجانب اللاتي يمتعن نظره على الشاشة ، ولا يطلبن المقابل.

لذلك كان أوزو يمتلك جهاز تليفزيون ٢٥ بوصة وهوائياً حديثاً مزوداً بجهاز البوستر الذى يقوى الإرسال (حرامى الدش) ، الذى يستقبل بعض القنوات الأوروبية ، ولو كان ثرياً لامتلك الدش ذلك الاختراع الساحر.

لهذا كان يصعد أحمد ، ليستمتع بالصحة البشرية ومشاهدة التليفزيون ، بدلاً من القنوات المحلية التى تنام مبكراً ، ولكون أحمد وأوزو هما العازبان الوحيدان فى البيت ، فدائماً ما تجد أحدهما عند الآخر ، إذا ضاق الرزق بأحدهما ولم يجد عشاءً أو شايًا أو سيجارةً يحل ضيفاً جبرياً على الآخر ، وكثيراً ما يجدان نفسيهما مفلسين معاً فيكتفيان بمشاهدة التلفزيون ، أو الاستمتاع بالدفع فى شقة أحمد

القبلية على أنغام وابور الجاز الذى يستعمله أحمد كمدفأة — وهى
حيلة ورثها عن أمه — والاستماع إلى شرائط الكاسيت — الطبعة
الشعبية — التى يجمعها أحمد بحرص شبه مرضى.

وهكذا ظلت بسبوسة تمان وتغتاب طيلة ثلاث ساعات كاملة ، ولم
ينج سيرتها منهما سوى الشيخ جابر حينما رفع أذان الفجر ، فقاما
للاستعداد للصلاة ... وعودة كل منهما لوحده.

oboiikan.com

" إن القوة الأسطورية للمرأة لا تتجلى أبداً ، إلا فى اقتناصها
الرجل الذى تبغيه "

{٤}

كان أحمد يبدو معلماً أكثر من المعلمين أنفسهم ، بل ربما كان يبدو أستاذاً جامعياً ، وهو ما أثار فضول بسمه الأخصائية الاجتماعية ، كان أحمد السيد يعمل سائقاً لحافلة المدرسة ، أى أنه غالباً لم يستكمل دراسته ، ولا يكفى راتبه البسيط تكاليف الحياة الباهظة ، إن مظهره يوحي بالاستقرار المادى — ابن ناس — بالمفهوم الشائع للكلمة ، وكان دوماً صامتاً ، لا يتبادل معها إلا عبارات مقتضبة .. كان يجلس مع عم فكرى عامل الكانتين .. يدخنان سراً تحت الشجرة الوحيدة بالمدرسة أمام الكانتين ، حيث جلسة أحمد المفضلة والتي لا يتركها حتى يتم استدعاؤه من قبل المدير كى يلومه على التدخين ويهدده بالرفت.

وهكذا ينتاب بسمه صدام مزمن لا يريحها منه سوى شرب القهوة من الكانتين لأنهم فى غرفة الأخصائيين يملكون براداً وأكواباً وسرتاية صغيرة يصنعون الشاى عليها ، هذا فى الصباح أما بعد (الفسحة) فكثيراً ما تصاب بالإسهال ، فتضطر للذهاب إلى حمام السيدات الموجود فى مبنى الإدارة ، وحيث الطريق المؤدى إليه يمر

— بالصدفة — بالكاتين جيئة وذهاباً ، و لم تره ينظر إليها ولا إلى غيرها من زميلات المدرسة نظرة اشتهاا — مما كان يهين كبرياءها الأثنوى — .

ولأن المرأة حينما ترغب فى رجل لا ينجيه منها سوى ملك الموت ، وكان أحمد المرشح الوحيد لنيل دور البطولة فى فيلم حياتها العصبية، ولأن بسمة تستحق الزواج ، ولا تستحق العنوسة كحال أغلب صديقاتها وقربياتها ، لكونها الكائن الوحيد فى عائلتها الحاصل على شهادة جامعية ، والتى قاتلت قتال الأبرار كى تلتحق بوظيفة بمدرسة خاصة للبنات بعقد محفف (ولكنه مستديم ذو طابع حكومى) ، كانت محظوظة فى الظفر به.

و لم تعرف فى بيت أبيها العامل بشركة الملح سوى الزحام والجوع ومخططات الهرب ، لذلك فقد آن أوانها كى تجد أى مغفل يتزوجها، وينجىها من بيت أبيها ، خاصة ولو كان هذا المغفل وسيماً أنيقاً، لا ينقصه سوى (القليل) من الثراء كى يصبح فارس أحلام أسطورى.

هكذا لم يكد العام الدراسى ينصرم ، حتى كانت بسمه تزين
بنصرها بخاتم ذهبى محفور على إطاره الداخلى اسم أحمد ، وتاريخ
الخطبة ، ورسم ساذج لقلب ينبض بالحب .
وصارت أمراً واقعاً فى حياته رغماً عن أنف كل المعترضين وعلى
رأسهم أحمد شخصياً .

أحمد السيد ربيب (عاطف جراج) ، الذى كان سائقاً فى الجيش ،
وبعد انتهاء مدة خدمته ، واستخراج رخصته المهنية استأجره
عاطف كى يعمل على (التاكسى الشريك) الخاص به فترة طويلة ،
وظل يتوسط له عند سكان العمارة كى يجد له وظيفه ثابتة ، حتى
جعله القبطان حمدى — الدور الثامن — السائق الخاص بزوجته ،
وبعدها بعام واحد أو يزيد ساعده اللواء البهنساوى — الدور الأول
— على العمل فى تلك المدرسة إعمالاً بمبدأ (إن فاتك الميرى) ، لأن
المستقبل يلزمه تأمينات اجتماعية ، ومعاش نقابى إلى آخره .

كان أحمد شاباً واسع الاطلاع ، غزير الثقافة بالرغم من كونه لم
ينل تعليماً جامعياً ، فقط (دبلوم) بالكاد ، وهو ما كان يبهر بسمه
بادئ الأمر ، ثم صار يضايقها ويولد الكثير من المشكلات بينهما ،
فقد كانت ترى أنها (مربية أجيال) متعلمة شديدة الذكاء ، برغم

أن تعليمها (أميرى) ، وبالقطع ما كانت تقرأ سوى (برجك اليوم)
و(أحدث خطوط الموضة) و(فقه المرأة المسلمة) الذى قرأته مرة
واحدة ولم تفقه منه شيئاً.

وهكذا كان الصدام الدائم بين عقلية نشأت فى ظلال العقاد ،
وزكى نجيب محمود ، وعقلية ترعرعت فى أحضان نادبة الجندى
وهى تقهر إسرائيل بجسدها (المثير) ذى الخمسين خريفاً ، وعفاف
شعيب وهى تتناول (الشهد) وتذرف (الدموع) فى تمام السابعة
والربع من مساء كل يوم.

يجرّع أحمد القهوة — مشروبه الوطنى — ، ورائحة دخان سيجارته
تثير غيظها ، وهما يجلسان فى (قهوة السلام) أو كافية دى لابييه
بالفرنسية المطل على البحر لأتتأ فى أول الشهر — والراتب لا يزال
(بخيره) فى جيبه — فيتشهد ويقول :

- أكثر حاجة بتعجبني فيكى يا بسمه هى براءتك ، أو يمكن
سذاجتك وثقتك العامة فى الناس، الناس اللى ربونا خلاص يا
حببتى خلصوا من زمان ، الناس دلوقتى بقت غيلان مسعورة ،
عبيد لشهواتهم أكثر من كفار الجاهلية ، لو كان بإيديهم كنتى

تلاقى كل واحد ماشى ف الشارع من غير لباس وشايل سيف أطول منه ويبدور على ضحية جديدة يسرقها أو يغتصبها أو يقتلها لو مالقاش عندها حاجة تنفعه.

" أكثر حاجة بتعجبني" هل يظنها بلهاء ، أكيد يقصد أكثر ما يغيطنى ، أو ربما يكون صادقاً فهو بالتأكيد يرى فيها ألف شيء يكرهه أكثر ، بدءاً بقبحها الذى تنكره أمام الجميع وتتعرف به لذاكها فقط ، وانتهاءً بأرائها السطحية التى لو سمعها طفل فى العاشرة لآثمها بالضحالة.

كانت تحكى له عن الفجيعة التى اقترفتها عزيزة فهمى مدرس أول الرياضيات ، والتى لم تسمع عن مثلها سوى فى مسلسلات التليفزيون التى تتهم كتابها بالشطط.

وهالها بشاعة ما عرفته ، وكادت تجن لو لم تشى به لشخص آخر، فقد كانت عزيزة هذه أرملة مات عنها زوجها ، وهى ما زالت شابة فى أواخر الثلاثينيات بعدما أورثها ثروة طائلة ، ومن يومها وهى تبحث عن متعتها الجنسية فى أحضان رجال فى عمر ابنتها ، حتى صارت فضيحتها (بجلاجل) مما جعل ابنتها نزيلة دائمة فى

مصحة نفسية ، ولكن ما أثار قشعريرة الرعب في جسد بسمة —
غير متسق القوام — هو هدوء أحمد في تلقيه للخبر ، وكأنه يتوقع
ذلك بل الأكثر هولاً أن يكون على علم به ، وربما طرفاً فيه بطريقة
ما.

تمتعش شفيتها في ضيق حقيقى وهى تطرد الدخان بكفها بشكل
استعراضى مفتعل ، لأنها فى الواقع تھوى رائحة التبغ المحترق بل
وتدخن سراً أيضاً ، ولكنها ككل امرأة .. تدعى النفور من الزوج
المدخن ، وتحرم التدخين على خطيبها بدعوى الحفاظ على صحته ،
بينما ما يثير جنونها فى الواقع هو إهداره للمال على متعته الشخصية
التي لا تعود عليها بشيء ، بالرغم من شكواه المستمرة من قلة ذات
اليـد عندما تسأله عن (الموسم) أو تجهيزات الزواج ، وتجرعت
جرعة شديدة الرقة — لكى تحافظ عليه — من كوب البرتقال و
سألته فى استرابة :

— أنت كنت عارف ولا كنت بتخمن ؟

— ما كنتش عارف بس كنت متوقع لأنها فى اختبار حقيقى ، لأنها
لسه شابة وجميلة وغنية وعازبة تلحق تعيش حياتها قبل ما تنتهى.

وللأسف فهي زى أغلب الناس فشلت فى اختبارها ، بدل ما تقاوم شهوتها جرت وراها ، عشان كده اللجنة غالية قوى وعشان كده اللي هيروحوها قليلين ، هتلاقى كل واحد عمال يتفشخر بنفسه ويقولك أنا مقبلش الحرام وعلى جثتى ، وأول ما يتزنق أو تجيله الفرصة ف الدرا ويعرف أن جريمته محدش هيحس بيها تلاقيه اتقلب شيطان ، عشان كده الاختبار صعب وربنا يكفينا شره أنا نفسى ما أضمنش نفسى ساعة الإغراء ما هيكون كبير هاعمل إيه، ربنا يحفظنا ، لأن الاختبار فتنة تميز المؤمن من الكافر أو زى ما القرآن بيقول :

{أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؛ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ.}¹
وحق فى الكتاب المقدس هتلاقى :

{وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخَرِ هُمْ الَّذِينَ مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ بِفَرَحٍ ؛ وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ ، فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ ؛ وَفِي وَقْتِ التَّجَرُّبَةِ يَرْتَدُّونَ.}²

١ سورة العنكبوت الآيتين (٢ ، ٣)

٢ الكتاب المقدس ، لوقا ٨ : ١٣

كانت تلك إحدى مميزات أحمد التي تبهرها وتثير حسدها في الوقت ذاته ، كونه متدينا حقا ، ويحفظ كثيراً من القرآن و(يفهمه) ، ولكن معجزته الحقيقية هي معرفته بالإنجيل ، وبالكتاب من تعاليم المسيحية.

وهو ما يبدو خيالا علميا ، حيث المصريون جميعاً متدينون بالمظاهر ، فهم فقط يؤدون الفرائض دون أى تطبيق لأخلاق الدين في تعاملاتهم اليومية ، وقليلاً ما تجد مسلماً يحفظ شيئاً من القرآن ، أو مسيحياً يحفظ شيئاً من إنجيله ، وإذا وجدته فنادراً ما تجده يفقه ما يحفظه ، اللهم إلا إذا كان من علماء الدين.

ولذلك فإن أحمد بعد كافة المصائب والمسرات التي صادفتها معاً ، لاتزال تستنكره في كثير ، وتنهر به في كثير ، ويشير جنونها في الأكثر ، حتى إنها كانت تظنه ممسوساً أو على أقل تقدير (جاسوساً في مهمة وطنية) — دماغ أفلام — كما يقول عنها دوماً ، ولكن ما كان يؤكد لها دوماً بشريته ، هي فقره الشديد ، وضيق رزقه الدائم ، بالرغم من امتلاكه حساباً بنكياً ، وبطاقة ائتمان ، وهو حدث لم تصادفه إلا على شاشة التلفزيون ، حتى ولو كان رصيده صفراً وحسابه الائتماني مديوناً.

حتى ذلك كان يثير شكوكها أحياناً ، حينما تجده فى منتصف الشهر — وهو يقبض لا شيء تقريباً — ، وقد بدت عليه مخايل الثراء ، وامتلك نقوداً لا تعرف مصدرها ينفقها عليها بلا حساب ، وهو أمر يحسب له فهو شديد الكرم معها فعندما يملك مالاً لا يمنع عنها شيئاً أشتهته ، حتى ولو نسيت هى ذلك ، وهو أمر مقلق جداً أن تسأله يوماً شراء بضع الحلوى أو لوح شيكولاتة كوروناً ذات الغلاف الأخضر — مما يشعره ببلاقتها وطفولتها البائسة المليئة بالحرمان — ، فيعتذر لخواء جيبه تماماً ، وفى اليوم التالى تجده يهدئها حذاءً جديداً يبدو باهظ الثمن بدلاً من حذاءها المهترئ ، وهو ما يجعلها تطير فرحاً بكل هداياه التى تبهرها فى مواقفها وأذواقها وملاءمتها لها، ثم حينما تنفرد بنفسها ليلاً تنهشها وحوش القلق ، فإذا وجد المال وهو ما كان يبدو مستحيلاً بالأمس فمتى يجد الوقت للشراء ؟ ، وإذا امتلك المال والوقت ، فكيف يعرف القياس والذوق اللذين يناسبانها ؟ ، وإن وجد هذا كله فمتى يغلفها بذلك الأسلوب الأنيق الدقيق لحد الغيظ ، لذلك فهى تستبعد فكرة المس الجنى فلا يوجد جان بهذه (العفرتة) ، إذن فلا بد أنه فى اجتماع الأمس (مصر) أعطته هذه العبوة المغلفة مكافأة له على براعته فى العملية ، مثلما يعطى يوسف شعبان المظروف المنتفخ

لرأفت الهجان ، بينما موسيقى الشريعى تدوى فى الخلفية ، وهكذا
تنام منهكة من كثرة التفكير ، ولا تنسى أن تحتضن الحذاء وهى
نائمة مثلما كانت تفعل بملابس العيد الجديدة ليلة الوقفة.

oboi.kan.com

" إن الرجل لا يحتمل الشقاء وسغب العيش وانقطاع أسباب
النجاة .. إلا حينما يجد واحداً آخر يشاركه هذا الجحيم "

{٥}

يعد أوزو طعامه بكف فقدت عقلتين من أصابعها بترهما المنشار الميكانيكى الروسى فى زمن قديم ، المنشار الوحيد الباقي بعدما باع كثيراً من ممتلكات الورشة ، كى يستخلصها لنفسه ، ويلقى المال فى وجوه شقيقاته ، وتصير بينهم القطيعة للأبد.

الورشة ..

التي ذاق أشهى الأطعمة من إيرادها ، التي جعلته رجلاً ، وجعلت شقيقاته الجاحدات أمهات لهن بيوت وأطفال.

الورشة التي جعلته مطعمًا لنورا ، وأفسدت عليه حياة الأزواج المستقرة.

كان يصنع الموسكا ، وهى أكلة خضروات باللحم المفرى اكتسبها من سنوات عمره التي قضها فى اليونان يجرع الأوزو — وهو سبب اسم التدليل الخاص به — ، ويأكل الأسماك البحرية الشهية كل يوم ، ويصادق من الفتيات من هن أجمل من أثينا ، وأكثر بهاءً من أرتميس ، ويملك من المال ما يشتري به مصنع أخشاب.

كان ذلك النعيم فى سنوات شبابه المبكر الذى ظنه سيدوم أبداً
الدهر حتى بلغه نبأ وفاة أبيه ، كى يترك كل شئ ويصل
للإسكندرية فى اليوم التالى حتى يحضر الدفن بنفسه ويتلقى العزاء ،
ومن يومها وهو يحيا فى استقامة النساك ويتنفس فى كل شهقة حلم
العودة لأوروبا أو حتى أفريقيا . المهم أن يبتعد عن الفقر والجشع
والتكاسل المتوطنين فى مصر كأنهم البلهارسيا والأمية والوساطة.
أوزو ..

الوحيد الذى لا يؤنسه سوى (لاسى) الأنثى الوحيدة التى لا تزيف
مشاعرها ولا تدعى عكس ما تشعر به وتحيه دون شروط ، وأحمد
السيد ..

البائس الآخر الذى يذكره بآلام حياته ويشعره بالألفة فى هذا العالم
الموحش.
أحمد السيد ..

حفيد الشيخ رفعت الذى توفى جده الذى استأثر بتربيته باعتباره
أصغر أحفاده والذى ذاق اليتيم مبكراً ، وبعد وفاة الشيخ رفعت
أصر أحمد على البقاء فى مسكنه ، يتخذة مقراً له أيام دراسته و
نادياً لأصدقائه أوقات الإجازات حتى ماتت أمه زينب واستولى
شقيقه محمد على شقتها الواسعة وتزوج فيها وجاء يتقاسم مع أخيه

ممتلكات أمه وجده ، فيستأثر لنفسه بما يروق لزوجته ويترك الفتيات
لأحمد المسكين الذى يشاطره جحود الأشقاء ، ونكران الأهل
واليتيم المبكر ، و الوحدة.
أحمد ..

الذى ورث عن جده شيخ الأزهر مكتبة عامرة هضم كل حرف
خط على صفحاتها ، ونماها بجهود حثيثة وصارت عشقه ومبلغه
وكانت الشيء الوحيد الذى زهدت عنه امرأة أخيه كل الزهد فلم
تنازعه عليها.

أحمد ..

أحد السائقين الخبراء فى مهنتهم ، والذى كان يعمل لدى قبطان
بحرى وينال منه أجراً جعله يعرف الطريق للمصرف لأول مرة فى
حياته بخلاف الهدايا والملابس الأجنبية المبهرة ، والتى كانت تجعله
كأحد ممثلى السينما بقوامه المشوق ، ووسامته المفرطة وأناقة
إيماءاته العفوية كأنه سليل عائلة ملكية.

كان أحمد بعقليته التجارية الفذة وبراعته فى عقد الصفقات مؤهلاً
لمستقبل مبهر مليء بالفاهية ، ورغد الحياة حتى ترك عمله دون

مقدمات ليعمل سائقاً لحافلة مدرسة بما يقل عن ريع الراتب الذى اعتاد عليه . وإن كان أوزو يشك أن الموضوع يحمل بصمات امرأة، فالمرأة هى المخلوق الوحيد القادر على إفساد أية حياة منتظمة وهى المخلوق الوحيد القادر على تدمير أعنى الرجال ، وإفساد أقدس النفوس .. المرأة التى خلقها الله ابتلاءً لبنى آدم فى الدنيا كى يجازيهم بجنة الخلد التى لا بد ستكون (للرجال فقط) ، المرأة التى تحل بلعناتها وتأتى دوماً بالفقر فى أعقابها ، وخصوصاً تلك الفتاة أم (قدم شمال).

لايعرف أوزو كيف يراها أحمد ويتقبلها ، فهى قبيحة الملامح لا يكاد يرى لها أى مظهر أنثوى ، وهذا كله شئ (ومفعولها) شئ آخر تماماً.

فبمجرد خطبة أحمد لها بدأ فى حياته فاصل جديد يملؤه الاقتراض والسجائر (الفرط) ، وأيام كاملة خالية من الزاد ، إهمال تام فى ذاته حتى كثرت حالات مرضه المفاجئة و اختفت عيناه وسط هالتين سوداوين قبيحتين ، و قل وزنه أكثر من عشرة كيلوجرامات.

وبعد عامين بدأ أحمد فى التدنى لأسفل الدرك حتى لاحظ أوزو نقصاً مستمراً فى مقتنياته — وخاصة المكتبة التى يكاد يقدها — ،

وبدأ يعاني مشكلات قانونية مع دائنيه ، وصار زبوناً مستديماً لدى زكى عوض المحامى القاطن أعلى عرفة العطار — ومكتبه صالة منزله — وهو محام (على ما تفرج) ، ويعمل شكك فما كان أحمد يقدر على أتعاب أى محام مخضرم حتى ولو كان (وارد الأرياف).

أحمد السيد الذى يدوى صوته فى مكبر الديكتافون ليتأكد من وجود أوزو متيقظاً بغرفته ، ويبلغه بقدومه إليه — (كيس) بن محوج يستحق سهرة من أجله.

" إن الجريمة التي تسترت عليها كارثة قدرية ، يلزم لَهتك
سترها كارثة أشد هولاً "

يهب صبور من نومه مذعوراً على صراخ بلقيس وهى تهرول بحثاً
 عن الروب الحريرى كى تستر جسدها الزاعق بالنضج الأنثوى
 وتهرع لغرفة ابنتيها وهى تولول ، بينما تتجمع صرخات أهل النجع
 جميعاً فى صرخة واحدة مرعوبة ترج الكون كله وتبعث الذعر فى
 أرجاء الأرض الأربعة كأنها صرخة المذنبين يوم الحشر .
 فيقفز قفزاً من على سريريه (بالوراثه) ، وينطلق (كالطلق الحى)
 للخارج كى يرى السماء وهى تطبق على الأرض ، و(تفحص)
 سكاكها بقسوة الطبيعة الكاسحة التى لا تعرف التعقل ولا تبقى
 وراءها كائناً حياً .

(قنا) عذاب الماء ، كان يقولها أبوه ساخراً ، بينما هو ما زال
 طفلاً ، لا يعرف عن النيل سوى وداعة غبية طينية اللون يبارى فيها
 أقرانه فى السباحة ، ويتلصص على شاطئها كى يختلس النظرات
 لسيقان نسوة النجع المكشوفة وهن يغسلن فيها أوانيهن النحاسية أو
 ملابس أسرهن .

كان أهل النجع أحياناً يلقيون نيلهم جث البهائم النافقة ، فيقبلها
بترحاب دائم ، وأبداً لم يغضب.

لم يكن صبور يعرف ضراوة نيل مصر إبان الفيضان والمياه الفائرة
حمراء اللون وكأنها دم الغرقى المسفوك تقتلع أشجاراً بأسقة من
جذورها وتكسح بيوت السكان اللبنة بما فيها ومن فيها في طرفة
عين.

إنه لم يعرف سوى النيل العجوز المروض بفعل السد العالى ، الأليف
المطيع كأنه أجير في خدمتهم.

ولكنه اليوم فهم عبارة والده التي بدت في غاية الحكمة وتمنى لو
كان أبوه موجوداً ليعرف كيف سيتصرف في مثل هذا الموقف؟.

لقد كانت المياه الهادرة تهاجم القرية من الست جهات دون مبالغة
، السماء تهيل الأمطار على الرؤوس في مشهد كان يصف الشيخ
حجازى مثيله في أهوال يوم الدينونة ، بينما كل جهة من الجهات
الأربع (تطرش) في الوجوه طوفاناً من الماء الأسود المختلط بالتراب
الذى يلتهم كل ما يقابله من بيوت وأثاث وزروع وبشر ، بينما
الأرض تميد بالجميع من تحتهم ، وتتفجر فيها المزيد من عيون الماء
ولا يعرف كيف ، وكأن كل هذه المياه لا تكفى لشطب (على

سالم) من خريطة قنا المعلقة بمديرية الأمن ، وكأن مياه النيل
اختزننت كل أعوام الفيضان المقيدة بفعل السد العالى فى حقد
مكتوم ، ثم جاءت تطلقها على الجميع فى يوم واحد.

كان صبور يصرخ فيمتزج صراخه بالنشيد الكابوسى لأهالى
النجع، ويجاهد الطوفان لكى يعتصم منه بالجبل (الجبل الذى وارى
فيه جثة أخيه القاتل) ، ويبدو أن هذه الفكرة سيطرت على عقول
الكثير ، فصار التراحم والافتتال بين أهالى البلدة كأنه الفرار من
.... من ماذا ؟ .. إنه فرار من الطوفان الذى أهلك من قبلهم أمماً
سادت الأرض لأزمان عدة ، الطوفان الذى لا يذر أحياء ولا يجعل
فى الأرض موطناً جافاً لقدم هريرة.

كان الناس يدهسون بعضهم بعضاً تحت أقدام الذعر الغليظة دون
أى تعقل أو محاولات فهم ، وكأن كل هذا الهول لا يكفى لفناء
جنسهم ، فراحوا يساهمون فى عملية استئصال شأفة البشر من
الأرض ليتركوها لسيادة الطوفان ، الطوفان الذى عبده الفراعين
اتقاءً لغضبة مثل تلك تذهب العقول وتهدى الزنديق وتلحد
(صاحب الطريقة).

ماء على ماء ، من أعلى ، من أسفل ، على ذات اليمين وذات الشمال ، ماء غادر يزأر فتدوس النسوة على أطفالهن بحثاً عن منجى ، ماء ينقض على فرائس بشرية معدومة الحيلة فيموت أشد الرجال بالصدمة العصبية قبل أن يبلغ منسوب المياه عنقه.

قد أهلك الطوفان قوم نوح من قبلهم وصاروا عبرة لللاحقين ، فهل سيبقى من الكلاحين ، بل وقنا بأجمعها ، وربما مصر كاملة ... هل سيبقى منها ما يصير عبرة لبشر آخرين ؟ أم تراه يوم القيامة وكل خلق الله يلتهمهم الطوفان كما يفعل الآن في كلاحين القبلية ؟.

كان يعدو بسرواله (أبو دكة) ، وهو يرفرف بذراعيه كالمخاض ، وصور الغرقى وشلالات المياه السوداء تزاحم في عقله صوراً مشابهة من عامين مضياً ، وكأن الطبيعة مصرة على إفناء القطر المصرى .

كان يرى الأرض تموج بالمياه الحانقة ، ويرتفع مستواها ليخسف بكل البشر وآثارهم ، ذات الأرض التى انشقت من قبل لتبتلع العمارات والأبراج شاهقة الارتفاع فى غمضة عين ، وتبتلع فى جوفها نصف مصر ... ومقتل البكرى.

لم يجد أحد الوقت كى يلاحظ اختفاء البكرى ، ففى ذات الأسبوع تصدرت أخبار الزلزال كل وسائل الإعلام وبات حديثاً

طويلاً متصلاً في كل جلسات أهل النجع ، النجع الذى بنا من الزلزال كأغلب صعيد مصر، وكان فقط يبيت لياليه مؤرقاً في متابعة أخبار أبنائه في القاهرة الكبرى موطن الكارثة.

وصار الراديو الترانزستور ضعيفاً حاضراً على كل شخص في كل أوقات يومه ، في حين يتولى التلفزيون نوبته بعد انتهاء الأعمال وانقضاء المصالح في عجالة ، وكثرة القراءة الجماعية للصحف الثلاث بحثاً عن كل خبر جديد ، وكل جثة يتم انتشالها.

وفي اليوم الرابع من أيام الكارثة تساءل أحد العباقرة في وجاهة شديدة عن أخبار البكرى في مصر ، وحال عمه منصور .

كان منصور قد نجا هو وأولاده جميعاً من الهول بعدما خسر عمارتين و(زلموكة جديدة) اهارت عليها ثلاثة طوابق بسكاتها، ولكن البكرى لم يعرف أحد عنه أى شيء ، خاصة أن العم منصور لم يبلغه قط وصول البكرى للقاهرة وهو عمدة الكلاحين في العاصمة.

بدا صبور متفائلاً وهو يضع احتمالية وجود البكرى مستتراً في الإسكندرية أو عند أبي طه ، ولكن بلقيس ظلت تنعق كغراب البين، وتولول على رجلها الذى حتما ذهب إلى القاهرة لأنه على

موعد مع (فرج بيه) نائب مجلس الشعب ، مما دعا لتشكيل لجنة
ببحث قوامها صبور وحامد زوج نزهة وعبد المغنى زوج أمائل وهو
من كلاحين أبنود وحضر بزوجته لمؤازرة العائلة فى فجعية فقدها
للبرى و بلقيس التى أصرت على الذهاب معهم فى تشنج هستيرى
تستحق عليه الأوسكار ، وهكذا قابل فريق (الشجعان) عادلا وعليا
ابنى منصور فى القاهرة ، ولحق بهم من الإسكندرية فايز ابن فوقية ،
ومن البحر الأحمر دياب ابن نعمة ، كى تبدأ رحلة البحث عن
البرى — أو جثته — فى شوارع القاهرة المنكوبة وكأها السويس
فى زمن الحرب.

قال شاهد — ابن حلال — إنه شاهد البرى قبل الزلزال فى
الحسين يزور أهل البيت ، بينما صرح — ابن حلال آخر — بأنه
سهر مع البرى فى الأريزونا ذات الليلة ، واستمرت بهم الحال
هكذا مع (أولاد الحلال) حتى مضى أكثر من شهرين لعقت فيهما
المدينة البائسة جراحها ، وبدأ الناس فى استيعاب وضعهم الجديد
بضم مصر لحزام الزلازل ، وعادت المدارس لتفتح أبوابها أمام الطلبة
من جديد بعدما صارت حصّة (كيفية اتقاء خطر الزلازل) مقرراً
إجبارياً جديداً ، وهكذا حتى صرح لهم (الشيخ) جميل الحاوى —

مدير معرض مكرم عبيد — بما كان يخفيه بين جنباته حتى أثقله
السر وأضناه الكتمان.

أخبرهم الشيخ جميل وهو يغالب دمه في وقار يحسد عليه بأنه ترك
(الحاج) البكرى ليلة وقوع الزلزال — وهذه أول صدمة — في
مخزن العباسية — وتلك الثانية — أما الثالثة الأثافي فهي انهيار العقار
القاطن به المخزن ومعه أربعة عقارات مجاورة وهلك تحت أنقاضها
جميع سكانها، إضافة إلى عابري السبيل تعيسى الحظ الذين تواجدوا
في ذلك الشارع تلك الساعة النحس.

كان ودمعه ينهال على لحيته الكثة فيبللها في منظر يمزق نياط
القلوب .. يبدو تمثالاً ناطقاً للصدق ، مما جعله يتفوق على بلقيس
ويتفرد وحده بالأوسكار ، بينما صبور يغلى ويتقد حتى كاد يلطم
الخدين من هذا الإفك ، فهو و بلقيس الوحيدان على الأرض
الواثقان من مكان البكرى الآن ، وهما وجميع أهلها لا يعرفون
شيئاً عن مخزن بالعباسية مملوك لأخيه رجل العائلة الذى يطلعهم
على كل كبيرة وصغيرة.

أخوه مريض التفاخر الذى لو اشترى علبة ثقاب مستوردة لقضى ليالیه فى المقاهى يجالس كافة خلق الله كى يحكى لهم وهو مطرق الرأس فى تواضع مصطنع ، كيف أن الله أكرمه بشراء تلك النعمة بكذا وكذا ، وإن كله من مال الله (إحنا لینا فیها إیه) ، ثم يستأنف فى ورع (أصیل) : "وأما بنعمة ربك فحدث".

أخوه هذا ما كان یخفى ملكيته لمخزن بهذه المساحة ، وفى هذا المكان ، وهو ما أثار ريبة الجمع ، حتى أتى (الحاوى) بعقد شراء صحيح مثبت التاريخ موقع علیه البكرى. وهكذا عادوا جميعا — بما فيهم هشام وعادل وعلى وحتى دياب — إلى النجع لاستكمال مؤتمرات المشورة ، والخروج بنتيجة تريح أذهانهم .

ولم يكد عامٌ ينقضى على الحادث ، حتى وجد صبور فى يده شهادة وفاة لأخيه (شهيد الزلزال) ، ساعده فى استخراجها المستشار فايز ونائب مجلس الشعب (فرج بيه) ، واستدعاه عمه منصور كى يأمره بالزواج من بلقيس.

الأرملة المنكسرة على بنتين من لحم أخيه الكبير ، والوصية على إرث أبيهما ، وحيث لا يوجد عند الصعائدة أعز من شيئين لابد

من الحفاظ عليهما فى قبضة العائلة بأى ثمن ... الأرض والنساء ،
وعندما اعترض صبور بحجة فارق السن بينهما ، نهره عمه وأمره
بإقامة حفل زفافه عليها بصورة تليق بالجيايدة ، وتنسيهم مرارة
الحزن، ولم يترك لصبور سوى الخضوع على مضض — حقه فى
الأوسكار هو الآخر — وتم الأمر كما أراد العم منصور جيد.

كان صبور يرفل فى رغد جنته بالمعنى الحرفى للكلمة ، فقد أوكل
إليه عمه شئون العائلة ، وهكذا عاد إليه إرث أبيه كاملاً ، والذى
ظل البكرى يقتّر منه عليه حتى أذله ، بالإضافة إلى مال البكرى
الذى هبط عليه من (طاقة القدر) فجعله إمبراطوراً ، بينما جعلته
بلقيس بجمالها (هارون الرشيد فى حكاوى ألف ليلة وليلة) .

بلقيس التى بلغت ذروة رونقها الأنثوى وهى على مشارف
الأربعين، والتى جعلته أميراً من الحواديت ، بلقيس التى كانت تتمنى
زوجاً يفيض عليها حنانا وفحولة مرة واحدة يومياً فتنال بدلاً من
ذلك زوجاً (أكل ومرعة وقلة صنعة) ، لا ينفك يعاشرها آناء الليل
وأطراف النهار ويطاردها بتدليله إياها فى كافة أركان المنزل كأنه
مازال عشيقها الذى يترصد كل فرصة متاحة كى ينالها ، حتى
ذابت فى كل خلاليه عشقاً كانت تترجمه دوماً إلى أموال سائلة تزيد

من تعلقه بها ، وهكذا تستمر دائرة العطاء الطردى المتبادل بينهما ،
ولا يكاد يكدر صفو حياتهما سوى الملعون الحاوى، الذى باعهم
موت أخيه بالزلزال حتى يستأثر لنفسه بمحتويات ذلك المخزن
السرى التى لا يعلمها إلا الله ، والذى صار الآن هو (الكل فى
الكل) بعد وفاة البكرى وجهل صبور بأعماله.

ولكن بلقيس — الحلم المحسد فى ثوب امرأة — أمرته بأن يتناسى
الأمر ، بل وأمرته بترك المعرض للحاوى يفعل به ما يشاء ، فهو
صاحب الفضل فيما هما فيه الآن ، وكأنه تستر على جريمتها ونال
أجره ولينعما ببعضهما بعضاً ، ويعوضان ما فاتهما فى وجود
البكرى حتى ظن نفسه فى جنة الخلد.

oboi.kan.com

" حينما يأتى طوفان الموت الجماعى ليجرف معه أغلب
النفوس ويذر خراباً منتشراً وقلة تجاهد للبقاء.
قد يكون الموتى وقتئذ أوفى حظاً من الباقين أحياء "

يجلس صبور منهكاً على بروز صخرى — كان يقع منذ يومين فقط
في (حضر الجبل) — .

يتطلع في وجوه أهلكتها الإعياء والذهول ، وما زالت تعاني فقد
النطق ، ووجوم الصدمة ، بينما النسوة لم تنفك (تعدد) على زينة
شباب النجع ورجاله بصورة غيبية ، فهن ما زلن لم يتيقن بعد من
مات ومن نجا في هذا اليوم الأسود.

يجلس صبور ، ويجول في الوجوه حوله محاولاً حصر الضحايا ،
بينما لا يزال الصيب يهطل كأنه غضب المولى المسلط على تلك
القرية البائسة.

لربما كان هو سبب ابتلاء النجع والقرية والمركز أيضاً بطوفان
السخط الإلهي كي ينتقم الله منه جزاء فعلته على عيون الشهداء من
الباقيين في النجع ، ربما جاء الطوفان خصيصاً كي يحرق قبر البكرى
ويظهر جثته المستترّة فيه منذ عامين ، ربما جاءت نقمة السماء كي
يعرف أهل النجع بفعلته فيرجمونه حياً هو و بلقيس.
بلقيس ؟..

تنبه الآن فقط لغياب بلقيس ، بل لقد تنبه لوجودها أصلاً في الحياة، بلقيس والبتان يا (خير أسود) ترى أين هن ؟ ، وماذا حدث لثرهه وزوجها ؟ ، ترى ماذا حدث لأماثل ؟ بل المهم ماذا حدث للكهف المدفون فيه البكرى والذي غمرته المياه والطين وقت اندفاع المياه جزءاً من صخور مدخله ؟ ، ترى هل آن وقت سداد الدين ، أم لا يزال البكرى راقداً في قبره الصخرى بسلام ؟ وكفاه تنغيصاً عليه في حياته ، فليفعل (حسنة) واحدة بعد مماته ويقتى محتفياً عن الأنظار .

ظل صبور هائماً في فكره ، واعتصامه بكهوف الجبل التي لم تغرقها المياه هو وأهل قريته القبليّة كلها حتى أشرق الصباح التالى وهو يبشر بقرب نهاية الكارثة ، فقد هدأ طوفان المياه واقتصدت السماء في مائها ، فصارت مجرد (أمطار غزيرة) ، وليست سيولا كاسحة ، وبدأ أهل القرية في البحث عن المفقودين ومحاولات انتشار بضع من أغراضهم ومتاعهم الطافي أو الغارق في متناول اليد ، وبدأوا بالفعل في تأسيس حدود جديدة للنجع ، بل لقرية كلاحين القبليّة التي صارت تقع بأكملها في (حوض الجبل) حرفياً وصار سكانها (ينحتون في الجبال بيوتا) بينما فوجئ المطاريذ (الفارّون من أحكام،

أو من التجنيد الإجبارى) بأنهم صاروا أهل الدار ثانية بعدما صارت القرية بأكملها (مطرودة) بفعل السيول.

السيول كما أستمها الحكومة ، والطوفان كما خيره أهل البلدة المنكوبة.

كان الشيخ حجازى قد وجد راديو ترانزستور مغلفاً بالشمع داخل أحد الصناديق (يبدو أنه كان جزءاً من شوار أحدهم) ، وظل يبحث عن حجارة جافة طيلة يومين صار يجول فيهما باقى نجوع القرية بلا هدى حتى عاد بأنباء رهيبة بالفعل تواسى أهل القرية وحثتهم على سلامة أبدانهم.

ينوح الشيخ حجازى وهو يتمتم بما لا يتنبه له أحد ، ولا يميز منه صبور سوى حمد الله على النجاة من أهوال يوم القيامة (والتي صار واثقاً من وقوعها كحد أقصى بعد يومين) ، ثم يقول فى ذعر جنونى:

— إن السيول اجتاحت الصعيد بكامله ، ولا يوجد شبر من أرض مصر يابساً حتى معابد الفراعين العملاقة أغرقها السيول

وهدمت فيها ، ولكن هذا في حد ذاته رحمة مقارنةً بالجحيم الذى فتح أبوابه على مصراعيها في وجه قرية النصارى.

كان صبور يعرف أن قرية درنكة بأسىوط ، هى أبعد مكان بلغته العائلة المقدسة في مصر ، وصار بها دير كبير (للعدرا) ، وقد اصطلحوا فيما بينهم على تسميتها قرية النصارى ، حيث كونها المكان الوحيد في مصر الذى يتألف جميع سكانه من المسيحيين فقط.

كان لصبور أصدقاء في درنكة (لا يقلون عنه شهامة) ، زملاء الجامعة في القاهرة ، وبعض تجار خير الجبل ، الذى يسمونه بالباطل (آثار) ، ولذلك فقد استرعى كلام الشيخ حجازى مسمعه ، حيث الشيخ حجازى كان لا يصف حادث الطوفان في درنكة ، ولا كان يصف أهوال يوم القيامة (كعادات في كل كارثة قدرية) ، بل كما يصف كابوساً واقعياً ، لم يستطيع معه أشد الرجال أن يكتُم دمه ، واتهم بعضهم الشيخ حجازى بالتهويل وبعضهم بالجنون ، وساد الخرس العظيم حينما سمع الجميع نشرة أخبار صوت العرب.

كانت كارثة قنا الحالية — ومصر بأكملها — هى السيول وجيروت الماء المسيطر عليها ، فيما كانت درنكة على موعد مع الجحيم الحق الذى يشوى الجلود ويفحم الجثث بينما سخط السماء يهدر الطوفان مدراراً ، فمن لا يغرق يحترق بعدما اختلطت مياه السيول التى اجتاحت القرية بالمواد البترولية التى تسربت من الخزانات التى أقامتها الجمعية التعاونية للبترول فى مخر السيل على سفح جبل أسيوط الغربى.

محرقه جماعية أقيمت على عجالة للأطفال ونساء وشباب وشيوخ غفلوا فى بيوتهم ، ولم ينج أحد من مئات المنازل المنكوبة الواقعة فى المنطقة المنخفضة على أطراف القرية سوى من شاءت لهم الأقدار البيات خارج بلدتهم تلك الليلة المشؤومة.

كانت شدة الحريق كفيلة بتفحم كثير من الجثث ، بينما شاركت السيول بدورها فطمرت الرمال التى حملتها السيول ما تبقى من أطلال البيوت المحترقة بمن فيها تحت طبقة سميكة قد تزيد عن المترين.

كانت الأمطار قد تواصلت طوال الليل فى سباق محموم ، وجهد كأنه متعمد لإغراق القرية قبل شروق شمس اليوم التالى ، وتمكنت المياه من نحر القاعدة الخرسانية المهشة (جديدة الصنع طبعاً) لأحد

مستودعات الجمعية فانكسر جداره ، وتسرب منه الوقود أطناناً مختلطاً بالمياه المتدفقة ، وواصل الخليط الجهنمي زحفه الغادر بسرعة وهدوء إلى البيوت الفقيرة المنسية التي لا تحظى بزيارة المحافظ إلا مرة واحدة (عند بدء توليه مهام المنصب) ، وبدأ الحصار ثم الاقتحام والتسلل البطيء حتى غمرت المياه المحملة بالوقود — كأنها أنابيب النابالم التي ظن اليهود أنها ستؤمن لهم قناة السويس — مساحة القرية بأكملها ، وعند الصباح كأنها ساعة الصفر حين قابلت المياه مصدر إشعال ، تحولت المنطقة فجأة إلى كتلة واحدة من اللهب المستعر بتوافق زمني شديد الدقة لا يتأتى إلا بتصريف إلهي.

في اليوم التالي حضر إلى درنكة الدكتور عاطف صدقي — رئيس الوزراء — وسار عشرة أمتار أمام كاميرا التلفزيون متحاملاً على نفسه بسبب المرض وظروف السن ، ثم توقف لتسجيل حديث تلفزيوني أدلى فيه بتصريح للتعبير عن الاهتمام الرسمي والتضامن مع الضحايا ، ويقولون إن الرئيس مبارك فاجأ الجميع بجولة بالطائرة فوق قرية درنكة صباح اليوم — الجمعة — ولكن الطائرة لم تستطع الهبوط (نظراً لظروف فنية ، طبقاً لتصريحات جريدة الجمهورية الصادرة في الصباح التالي) وأمر ببناء بيوت جديدة وتوزيعها مجاناً في منطقة قرية أمر بنائها وأطلق عليها " درنكة الجديدة " .

كان نهار الجمعة قد انتصف فوجد صبور نفسه — دون إرادة — يهتف في أهل القرية الباقين كي يقوموا لصلاة الجمعة ، بينما كان الشيخ حجازى يحاول السيطرة على ارتجافه شفته السفلية ، ويصدر لهم تعليماته بإشارات من يديه يحدد بها اتجاه القبلة ، ويأمر النسوة بالتراجع .

وكأنها الفسطاط إبان الفتح الإسلامى تراص جميع أهل القرية الذين وصلوا إلى الجبل خلف الشيخ حجازى فى صلاة شديدة الخشوع طويلة التضرع ، بعد خطبة قصيرة غير مفهومة منه ، وتبعثها صلاة الغائب على أهلهم المفقودين تحت جحافل المياه واستمرت دعواتهم حتى صلاة العصر وعصر كل الأيام التالية فى أيام التشريد.

" إن لعنة الحب الأبدية تكمن في إتيانه دوماً في غير أوانه.
لذا فإنه حين يرحل لا يترك للمرء فرصة مصادفة حب آخر قد
يأتى في أوان أكثر ملاءمة "

{ ٨ }

يتأمل أحمد جسد بسمة العارى — متناقض التكوين — وهى تهرع إلى الحمام لتسارع بالاستحمام بينما هو ما زال راقداً فى الفراش عارياً .. لم يفكر حتى فى التدثر بغطائه.

كانت لبسمه عادة ذكورية مقبولة تشكى منها النساء دائماً ، فهى بمجرد الانتهاء من ممارسة الجنس تهرع إلى الحمام كي تغتسل من عرق الخطيئة — ربما لأن هذا ما يسيطر على عقلها الباطن — وتأتى دوماً بعدها فى كامل ملابسها لتنظر له نظرات اللوم.

أغلب النساء يشكين من إهمال الرجال لهن بعد انقضاء شهوتهم بالجنس ، ولكن بسمه تعد الحالة الأولى من نوعها ، ربما لاقتناعها الدائم بإثم فعلتهما لا يعرف ، ولكن مادام بينهما خطيئة ما فهو إذن يريد أن يتمتع بخطيئته كاملة ما دام قد اقترفها (واللى حصل حصل) ، كان أحمد يحلم مع بسمه بالوصول إلى نشوة الجماع (الأورجازم) بل كان يحلم بما بعد الأورجازم.

يحلم بحضن دافئ طويل يجمعهما ، قبلة امتنان حنون يتبادلاهما فى شقاوة ما بعد الجنس ، ولكن بسمه كانت دوماً مصدرراً للسعادة

الناقصة ، للمتعم غير المكتملة ، كانت إذا تكبدت عناء طبع وجبة
له تنسبه عناء حياة العزاب أفسدت صنعها ، إذا منت عليه بجسدها
لبناله أشبعته لوماً وتانياً.
بسمه..

التي ضيقت عليه الخناق حتى استسلم لشباكهها ، التي أغوته بمباهج
الزواج ونعيمه بدلاً من عذابات (العزوبية) والوحدة التي يعيش كافة
تفاصيلها.
بسمه..

التي أعطته كثيراً ، وتنازلت عن الأكثر كي تظفر به.
بسمه..

التي تبدأ بالعطاء وتنتهي بالمن والأذى والتفريع.
بسمه التي عادت بكامل ملابسها تستند على إطار الباب وتنظر إليه
رافعة حاجبها الأيسر متعضة الشفتين في لوحة فنية دلالتها (قوم يا
موكوس).

لم يتبادل معها أحمد ثلاث كلمات وهو يرتدى ثيابه ويتسلل معها
للشارع ويتخذان طريقهما لمتزلها.

كان أحمد ينظر إلى ساعته في انتظار بدء وصلة (العكنة) الخاصة
ببسمه بعد كل لقاء جنسى.

كانت أنثى شديدة الغباء تفتقر دوماً لاختيار مواقيت طلباتها، بل
كانت تفتقر اختيار ألفاظها ، كانت تلقى في وجهه (دانات مدفع م
/ ط) وتتوقع منه أن يتقبلها.بمنتهى الهدوء ويرد عليها.بمنتهى
المنطقية!

ولم تكذب بسمه خيراً فبمجرد وصولهما إلى (محطة مصر) حتى
انفجرت فيه:

- ها وبعدين هنتيل كده لحد إمتى ؟

وتستمر ..

- بقالنا سنة ع الحال ده وانت مش فالح غير إنك تتهيب

معايا وتنسبط وخلاص، ولا عمرك فكرت تخلص جوازتنا
النحس دى ولا هتفكر.

وتستطرد ..

- وتتعب نفسك ليه؟ ما أننا مبسوط كده بتاكل وتشرب

وتنام معايا ، على إيه بقى نتجوز ونبقى زى بقيت الخلق
المحترمين؟

يتنهد أحمد ويشعل سيجارة أمام نظراتها النارية ولا يعلق ، تلك

البائسة لا تعرف كم يعاني بسببها ومن أجلها.

كان أحمد هائماً في حب مستحيل لا فكاك منه حتى ظهور بسمة
(وتنطيطها زى فرقع لوز) حتى أقنعتة بالزواج منها.
كانت أشد منه فقراً ، شديدة القبح لن تجد كلباً أجرب يتشممها ،
ظن أحمد أنها ستستमित في الحفاظ عليه وتضعه في عينيها ، كان
يملك شقته الضيقة التي تقبلت السكن فيها بعد جهد بسيط — فقد
كانت تريد الخلاص من جحيم أبيها — ، كان أحمد يملك من المال
ما يكفي لخطبتها وأيضاً كان يملك من الفرص ما يوجه منها
خلال عامين على الأكثر.

فقط اشترطت عليه تحديد شقته بالكامل بكافة أجهزتها الكهربائية ،
وإقامة حفل زفاف كبيراً في مسرح وليس في الشارع — كالعادة
— مادامت قبلت وتواضعت ووافقت على السكنى في هذا (الحق)
الضيق.

بسمة تستمر في الصراخ والنواح والتقريع والسباب أحياناً ، وهو
لا يعيرها أذناً لكونه هائماً في وديان أخرى لم يخبرها بشر سواه.

كان أحمد السيد يحيا في زمان ما حياة أخرى بروح أخرى ورفقة أشخاص آخرين ، إنه يشعر أحياناً بأنه في كابوس طويل لغيوبة عميقة يتمنى الإفاقة منها.

كان في السابق يعمل سائقاً خاصاً لمدام فاتن مديرة واحدة من أكبر شركات الملاحة المملوكة لزوجها ، كان يكسب من ورائها كثيراً وكثيراً جداً ، كان يأكل طعاماً يسمن ويغنى من جوع ، يرتدى ثياب زينة في ذاتها، يرتاد أماكن تثير الحقد في نفوس أقرانه ، ويقابل يوماً أروع مخلوقات الله على هذه الأرض البائسة ...
ليلى .

ليلى إبراهيم سكرتيرة الشركة ..
كتلة من النشاط والحيوية والكفاءة ، كائن يقدر العمل والنجاح ، ليست كباقي المصريين في الطبع وإن كانت من أجملهم في الملامح.
ليلى ..

الصارمة مع زملاء العمل كأها أكثرهم ذكورة ، شديدة التعاون كأها أم الجميع برغم حداثة سنّها نوعاً ، أنيقة الملبس مبهرة الألوان كأها (كلوديا شيفر).
ليلى ..

شديدة الرقة والعذوبة ، التي تجلس ثماني ساعات على كرسيها
الجلدى فلا ينخفض مليمترًا واحدًا.

التي إذا سقط عنها هذا القناع سهواً أشرقت منها شمس الأنوثة في
سطوع يعمى نظر الحالمين.

.. ليلى ..

ذات أجمل عينين ينبضان بالحياة فى العالم ، خمرة اللون طويلة العنق
مرفوعة الأنف الدقيق فى شمم كأها نفرتيتى شخصياً فى ملابس
(مودرن).

كانت مخلوقاً أصلياً ليست (تايوانى) كأغلب النساء من حوله ،
كانت صادقة المشاعر لا تعرف الزيف ، لا تدعى بل تحيا ذاتها
وليس ذات أخرى.

كانت ليلى زميلته فى العمل التى يراها مرتين أو ثلاث خلال اليوم
ولا يتبادل معها سوى كلمات الترحاب ساعة الصباح ، كان هذا
المخلوق رائع التكوين ملكاً لرجل آخر.

كانت تجهز لحفل زفافها بعد شهور قلائل وكان كل زملاء العمل
يتعهدون لها بفعل الأفاعيل فى (ليلتها) ، فهى محبوبة بالفعل لديهم
جميعاً ، كلهم يتمنى أن يرد إليها ولو القليل من خدماتها الكثيرة

المستعصية على الحصر.

أحمد وحده كان يمارس دور غراب البين وحيداً ، يتسلل إلى الحمام كى يدخن سيجارة يفتت مع دخانها سموم حقه على هذا الوغد الذى هو حتماً لا يستحقها ، لن تجد ليلى رجلاً على هذا الكوكب يجبها ويسعدها غيره ، كان يهيم بها كأنه مسحور من شطار الحواديت ، كأنه (مسبى) ولا يملك له أحد (الفاكك والفاكوك).

كان لا ينظر إليها تقريباً خشية أن تفضحه نظراته ، ولكن ليلى ..
الذكاء الأنثوى فى هيئة امرأة كانت تنظر إليه نظرات تشجيع ، وأحياناً شفقة ، وما أثار جنونه نظرة الحسرة التى رمقته بها ذات يوم وكأها تواسيه ونفسها على لقاء فات أوانه منذ دهور.

لم يحتمل أحمد هذا الصراع الداخلى الذى يمزقه وهى تشرق أمامه كل صباح وتغيب مع ظهور المساء لتتير ليل شخص آخر.
شمس مبهرة الحسن تتألق فى ثوب بديع الألوان شديد الأناقة والجادبية.

أربعة أشهر عاشها فى هذا العذاب ، ضاحكاً فى وجه كل من يلقاه،
ناكراً سره عن الجمع بما فيهم أوزو كاتم أسرار ، وكأنه نموذج
واقعى لـ (العذاب فوق شفاه تبتسم) حتى اقترب موعد زفافها

وزاد الطينة بلة (حادثة الأتيليه).

فى ذلك اليوم الغريب استدعته مدام فاتن قبل انتهاء فترة العمل وطلبت منه الذهاب لبيت أزياء شهير كى يتسلم فستان الزفاف الذى تم تفصيله خصيصاً لعروس الشركة ، والتى قامت المدام بتحمل نفقاته باعتباره (النقوطة) ، وهكذا ذهب فى رحلته يسب ويلعن الجمع بما فيهم هو نفسه حتى عاد بالفستان المغلف — لحسن حظه حتى لا تنفجر شرايينه — وذهب لمكتب السكرتارية كى يسلمها الفستان .

لا يعرف أحمد هل يحزن أم يفرح لما حدث ؟ مشاعر غزيرة شديدة التناقض انتابت قلبه المتنازع ولىلى تصافحه وتضغط على يده ضغطة مشجعة وتقول له بصوتها ملائكى النبرات :

- ربنا يسعدك ببنت الحلال اللى تستاهلك.

كانت لمسة يدها تلك آخر ذكرى لها فى قلبه ، فقد ترك عمله من يومها حتى إنه استقال واستلم أوراق تعيينه من القبطان فى جليم ، لم يقو على الذهاب إلى مقر الشركة معللاً ذلك بخلافه مع (شريف فوزى) المحاسب الذى رفض اعتماد فاتورة (الجنوط) لأنها ليست من التوكيل.

وهكذا وجد نفسه يتسول عملاً حكومياً ما — لادعائه أن هذا سبب تركه عمله — حتى صار سائقاً في تلك المدرسة الإعدادية التي اقتنصته منها بسمه.

بسمه التي لا يدرى كيف وُجدت في حياته؟ ولا يدرى كيف ستبقى فيها بل لا يدرى حتى كيف يتخلص منها إذا أراد ذلك؟. كانت الأفكار تتصارع في ذهنه ، تلهيه عن حديث بسمه (المتع) حتى وجد نفسه فجأة أمام منزلها ، فوعدها بفعل كل المستحيلات المطلوبة غداً بعد انتهائه من عمله ، وودعها وهو يعود أدراجه لمنزله بينما لا يزال يتذكر ليلى ويتحسر على فقدانها.

" إن المرأة التي تُفسخ خطبتها قبل زفافها بأسبوع على رجل
ميسور الحال يهيم بها حباً ..
لن يمنعها من إحراق ذاتها (بوابور الجاز) سوى طبيب نفسى
من طراز (أدلر) "

بعد خطبة زادت عن العام ، صنعت خلاله كل ركن في منزل الزوجية كما كانت تحلم ، وبعدها فصلت فستانها الأبيض كما اختارته من كتالوج العام، و طبعت دعوات الزفاف وشرعت في توزيعها بالفعل ، وبعد تهشم أحلامها بهدوء يبدو مبتدلاً ، وخيانة باردة لأمانيتها في وقت كانت تظنها فيه حقائق مؤكدة.

وبعد عامين ونصف من مضادات الاكتئاب ، وأربعة وعشرين كيلو جراماً زائدة جعلتها أقرب لغسالتها (القول أوتوماتيك ذات الـ ١٨ برنامج) .

بعد هذا كله قررت ليلي البقاء والعودة إلى مدينة الملاهي العملاقة المسماة الحياة، ولكن بالصورة التي تستحقها .

قررت تحقيق كافة أحلامها بيديها دون الاتكال على رجل تعلق عليه آمالها ، قررت غض النظر عن سننها الخطر إلى حد ما والذي شارف على كابوس نساء مصر (الثلاثين) ، وقررت الإصابة بسعار الحياة والاستمتاع بكل لحظاتها.

أعادت اكتشاف ملابسها ذات الألوان البهيجة والتي كانت تدخرها لعش الزوجية ، وأرغمت نفسها على نظام غذائي قاس ،

وتمارين رياضية أشد قسوة أعادت لها جسدها تقريباً كما كانت تعرفه ، وخرجت في رحلة البحث عن عمل تبذل فيه المزيد من الجهد البدني ، مما يعيد تشكيل قوامها ، وفيه المزيد من الجهد الذهني الذي ينجيها من أفكارها الكابوسية بالرغم من اعتراض أبيها الذي تمنى لو قتل ذلك الوغد الذي ذبح ابنته الأثيرة بسكين من المنطق اسمه (إن فترة الخطوبة هي اختبار ممكن تنجح فيه العلاقة أو تفشل) و (بتك جوهرة ألف مين يتمناها بس أنا هاظلمها معايًا فلازم أسببها للى يستحقها) ، يقول هذا وهو يخلع دبلتها من بنصره بمنتهى الهدوء ويسلبها عاماً وأكثر من المعارك والأحلام والمؤامرات حتى صار زواجه من ابنته مجرد ترتيبات واستعدادات لم تكتمل بعد. ابنته التي لم تعرف سر تخليه عنها بدون مقدمات ولا تهديد ولا حتى مشاحنة صغيرة تحميها من الجنون.

ابنته ليلي التي احتملت شهراً في صبر ظلت تلوم نفسها على ضياعه من يدها حتى صدمت بزواجه من ابنة ولي نعمته العانس التي تكبره بثلاثة أعوام والتي كتب أبوها باسمها معرض السيارات الذي يديره (المحروس) ، والتي تزوجها في ذات الشقة التي اختارت هي كل لون في ديكوراتها ، التي اختارت كل قطعة من أثاثاتها ، التي حلمت بتأسيس مملكتها الخاصة بين جدرانها.

ليلى الرقيقة الحنونة التى ورثت عن أمه — جدتها — ، عيناها
الذكيتان الرائعتان وقلبها المتسامح العاشق للخير.
التي تركت عملها فى شركة الملاحة براتب يعادل راتبه هو ، وهو
مدير عام بشركة الكهرباء ، من أجل وغد انتهازى غير مكتمل
الرجولة لم يستطع الاعتراف لها بسبب هجره لها.
.. ليلى ..

التي أصبحت الآن (روبوت) تأكل وتتحدث وتحيى بميكانيكية ،
تعترك الحياة كأنها أم كلوم تعول (نص دسنة) أيتام ، تفتعل السعادة
فى ملابسها الأنيقة وعطورها الفاخرة وأنحراطها فى حيوات
صديقاتها الشخصية وكأنها رئيسة جمعية للمرأة العاملة.
.. ليلى ..

التي تبدو الآن أكثر شبيهاً بأمه المسيطرة المستقلة (أم الولد) الأرملة
ذات الأصل الصعيدى التى ربّت خمسة أشقاء ذكور دون أب بعد
موت أبيه فى طفولتهم المبكرة وهو فى حصار (الفالوجا).

ليلى التى يحبها أكثر من شقيقتها — وليسامحه الله فقلبه ليس بيده
— ولا يرى النور إلا فى ابتسامتها العذبة ولا يعرف الدفء إلا فى
عيني أمه المطلّة من وجهها الأسمر الحنون.

" إن الكارثة التى تفتح أبواب الجحيم فى وجوه كثيرين وتختار
محظوظاً واحداً لتهبه (الجنة) ، إن حدثت فهى تحدث مرة
واحدة فى العمر ، أما إذا ما تكررت المعجزة فربما فى تكرارها
هذا محاولة لتصحيح الأوضاع الناجمة عن المرة السابقة "

{ ١٠ }

حين جاء الزلزال فى خريف قائم كى يتستر على مقتل البكرى ويهب لصبور بلقيس (بملحقها) ، الذى امتن كثيراً لتلك الكارثة و(صان النعمة) هذا شيء ، ولكن أن تحيء السيول فى خريف أشد قتامة كى تمنحه (كنوز قارون) ، فهذا شيء آخر لا يستوعبه عقله، ويرهبه رهاب الموت.

كان صبور يجلس منكمشاً فى كرسيه ، مرتعباً من أفكاره وأحداث حياته غير المستساغة على الإطلاق ، بينما بلقيس تدخن النارجيلة الفاخرة وتنفث فى وجهه دخاناً بنكهة التفاح ، مستمتعة بدعره واحتياجه المتكرر لها كأنه — دائماً — صبي مذعور يخوض تجربة (التزويغ من المدرسة) والتدخين على المقهى لأول مرة مع رفقاء السوء.

كان وجه بلقيس الأبيض المستدير يبدو ساطعاً ، يتلألأ كبدر ليلة التمام ، وزرقة البحر الخلابة تصنع له أجمل خلفية طبيعية للوحة تنطق كل جنباتها بالجمال الرباني.

كانا فى مقهى بجوار الفندق فى انتظار قدوم (السمسار) بعد أن رتبت بلقيس لهذا اللقاء.

بلقيس — رجل البيت — التى تخطط وتقرر وتنفذ ولا يسعه أمامها سوى الانبهار بأفعالها والتنعم بنتائجها.

ظل صبور يتململ ويتوآب فى قلق يزيد من إمتاع بلقيس لدرجة إطلاقها ضحكة (مسهلة) ، كادت تلم عليهم الخلق لولا دخول أحمد السيد من البوابة وتحواله ببصره بحثاً عنهما.

بعد انقضاء غمة السيول — بعدما أعادت رسم خريطة الصعيد — وبعدها تحولت (كلاحين القبلىة) إلى (كلاحين الجبل) بمعجزة إلهية ، وبعدها أقامت الحكومة (قرية السيول) بجوارهم وحشرت فيها الناجين من الطوفان.

كان الرعب يسيطر على قلب صبور بعدما هدمت السيول جزءاً كبيراً من جدار الكهف المخفى بداخله البكرى ، وصارت مقبرته قرية جداً من أيدي العابثين ، خاصة وأن الكهف صار حالياً فى ساحة القرية بعد التغير الجغرافى الجديد.

كانت بلقيس — بعدما عثر عليها وعلى البنيتين واستقرت الحال بالجميع — هى صاحبة الفضل فى ابتناء دار صغيرة على عجالة

تستند على جدران هذا الكهف وتجعله جزءاً منها ، مما يحميهم من عبث أهل القرية به ، خاصة وإن دار نزهة هدمت من جراء السيول، مما دعا بلقيس أن تدعوها وزوجها للعيش في دار أبيهم المبنية (بالمسلح) ، وتستقر هي وصبور في الدار الجديدة على الجبل مع باقي المشردين من القرية.

ولكن هذا لم يكفِ صبور ، صحيح أنه قد هدأ نوعاً لبقائه حارساً مقيماً على سره ، لكنه ما زال قلقاً على جثة البكرى التي صارت على بعد متر واحد عن الأرض المطروقة ، وقد يحدث أى شيء يخرج المدفون ويكشف الستر ويلقيه في السعير ، وهكذا في ذات يوم هادئ — بحجة تجديد الدار — بعد مرور أكثر من العام على الحادث قضاه يتلوى ، قام صبور بالتنقيب عن قبر أخيه وراح يحفر الأرض الحجرية من الجهة الشرقية — التي كشفها السيل — بعدما اختفت الفتحة المعتادة للسرداب تحت وابل من الصخور المنهارة والأحجار المتكلسة.

تنهد بلقيس وتميل بوجهها على أحمد — بحجة البوح بالسر — ولكنها كانت تزكم أنفه برائحتها العطرة ، وتملأ بصره بنضرتها ،

كل هذا أمام عيني صبور الذى يكظم غيـرته — فلا أحد يقدر على بلقيس — وتقول لأحمد فى صوت مشبع بالغنج ، طافح بالدلال :

- لجينا يا خال سلم ضيـح يادوب يساع راجل إسـفـيف ،
والسلم ده يودى لسرداب ف آخرته جدار صخر ، جينا
نهدوه ما أنهد ، يادوب بس نقبنا فيه طاجة صغيره طليـنا
منها لقينا أوضتين ف ريح بعض ، الأولى باينة منجوش
عليها تصاوير سمس وطير وشخايط وحاجات إكده.
والتانية مخفية يلزم هدد الجدار عشان نوصلوها ، بس باين
ع باها إحجره مطيولة على كل حجر عروسة بلون
لاسفلت ونقوش بلون الذهب.

كاد صبور يموت ذعراً بسبب هذا الاكتشاف ، وظل يلح على بلقيس ويرجوها أن (يردم) هذه الفتحة بما فيها ، خاصة وأنه لم يجد جثة البكرى أو هيكله العظمى — لمرور سنوات على دفنه — وهذا معناه أن لا أحد سيحده غالباً.

كانت بلقيس تتنمر ، وتصرخ فى وجهه أن (يسترجل شوى) ، هذا
الكتر فرعونى الطابع يحمل لصاحبه وعداً بالشراء يجعله يزدرى العالم
من بعده.

يقول لها صبور إنهم يملكون كثيراً ، يقول لها إنها (داهية) تؤدى إلى
هلاكهما وهلاك كل من يشاركهما ذلك ، يتوسل إليها أن تكتفى
بأموالهما المكدسة ولا تجعل الطمع يوردهما التهلكة.

فتنهره عن العويل كـ (الولاي) ، إن هذا الذى معهما سيجعلها
إمبراطورة تشتري قصرا فى أجمل مدينة فى أوروبا ، تسافر لتطوف
أرجاء العالم ، تزين مفاتنها بأغلى الثياب ، تصون نضارتها بأفضل
مستحضرات التجميل ، تحيا حياة نجمات هوليوود بل حياة الملكات
فى دولة متقدمة.

كان صبور يتعلل بموت كل أصدقائه (تجار الآثارات) فى درنكة ،
يتعلل (بالتأبيدة) التى يقضيها محمود أبو طه فى طره ، يتعلل بأنهم لا
يعرفون طريقاً لبيع هذه الكارثة ولا يوجد من يؤمن على سر
كهذا، يتعلل بأنه لا بد من بقاء السر فى طى الكتمان حتى يولى
زمانهم على خير.

كان الذعر يقتل صبوراً بينما الفضول يأسر بلقيس وما كانت تتعقل حتى ترى الكثر المدفون وتعرف قيمته ، وربما كان يسيطر عليها أكثر من الجشع والتعطش لمزيد من الثراء.

وحق دون ذلك كله ما كانت بلقيس سترضخ لصبور ولا لأى مخلوق غيره، بلقيس تفعل ما تريد وقتما تريد ولا يقدر أحد على قمعها.

كانت سيارة البكرى هى الدليل الوحيد على وجوده بالقرية ليلة مقتله ، ولهذا وفى فجر اليوم التالى للحادث قادها صبور إلى الإسكندرية ، وتركها فى مرآب ما هناك عرف طريقه حينما كان يقضى أيام الصيف مع زملاء الدراسة بجواره ، كان يترك فيه سيارته البيجو ويستلطف صاحبه كثيراً ، وهكذا ترك له السيارة بحجة البحث عن مشترى جيد لها وطلب سعراً مبالغاً فيه حتى يعرقل البيع ، واستمرت الحال هكذا حتى أتى الوقت الذى ملك فيه الأوراق القانونية التى تتيح له التصرف فى ممتلكات البكرى ، فتظاهر بالرضوخ لضغوط عاطف — صاحب الجراج — لخفض السعر وباعها بالرغم من ذلك فى صفقة جيدة بالفعل ، وكان الذى

تولى إلهائها هو ذلك الشاب (ولد أخت أبو عابدين) المدعو أحمد السيد.

كانت بلقيس — كالعادة — هي مخطط العملية ، ولذلك حينما رآها عاطف أصابه ما يصيب الرجال جميعاً ، صار خائماً في إصبعها الانسيابي حريري الملمس ، وراح يختر أمامها بأسرار تذهب به إلى السجن بغير عودة ، ومن ضمنها (شغل) في عملات برونزية من العهد البطلمي ، والذي قام به بمعونة أحد قباطنة السفن أصدقائه ، ويعلم أحمد هذا ولكن دون مشاركته.

كانت بلقيس وقتها قد قابلت أحمد الذي — ويا للعجب — لم تندهه النداهة لمرآها ، بل ربما نفر منها وكره تواجدتها طوال فترة بيع السيارة ، كان تسلط بلقيس وسيطرتها المطلقة على كل رجل يظهر حولها يثير رعب أحمد ، يهين رجولته تحوله من رجل إلى مجرد مفتاح معلق في سلسلة مفاتيح (الست) بلقيس تستخدمه وقت اللزوم لفتح باب ما مغلق في وجهها ، ثم تلقيه في بالوعة الصرف بتلذذ ماسوشي الترفة.

كان هذا يرضى صبوراً بشكل كبير ، ولكنه أثار غضب بلقيس
وسخطها بصورة مبالغ فيها حاولت جاهدة إخفاءها عن صبور
ولكن هيهات ، كان يهينها حقاً انكسار فتنتها أمام كبرياء رجل ،
يجرحها مقاومة شاب يافع — تكبره بعقد من الزمن على الأقل —
لسرحها الأنثوى فاتك المفعول.

ولكن بلقيس لم تترك هذا يؤثر على العملية ، وإن ظلت تضر
ذلك في جنباتها حتى صرحت به الآن فقط ، كان أحمد السيد هو
أول اسم اقترحته ليتولى مهمة بيع (الكتر) ، باعتبار أنه (اللى ليه
سكة ف تصريف الجرشينات الخواجاتي) ، لا بد له من تصريف في
(آثارات الفراعين) ، وهكذا جرجرت صبوراً خلفها كالجدى حتى
أجلسته أمامها وهى تتفاوض مع أحمد ، وتحاول أن تقهره أمام
نظراته المشتعلة وكأنها أتت خصيصاً لرفع علمها على أرض أحمد
السيد ، أتت لإذلاله و(كسر مناخيره) ، وليس (للمصلحة) ، وبات
وشيكاً أنها لن (تعاود) النجع حتى يمزق أحمد ملابسه ويعدو ليلاً في
(غيطان القصب) ينادى اسمها وينوح على قلبه الكسير ، ويصير
سيرة شعبية في الوله يغنيها الرواة على ربايتهم في ليالى السمر.



" إن المرء لا يدرك قيمة الأشياء إلا بعد فقدانها ، ويقسم ألا يتركها ترحل عنه ولو بالدم إذا ما صادف وتكررت فرصة حصوله عليها ، ولكن عندما يحدث هذا فعلياً فغالباً ما يحنث بقسمه دون أن يبذل أى جهد ولو بسيط فى السعي وراءها "

كان أحمد يقطع الشوارع في حنق بالغ ، يلعن في سره كل شيء ، وأحياناً يعلو صوته بالسباب رغماً عنه فينظر إليه المارة شذراً ، أو شفقةً على عقل (الجدع) ، يمشى في توتر متخبطاً ، فيصطدم بالماراة ليزداد اشتعالاً ويتورط في مشاجرات عدة مصرية الطابع تحتوى على كثير من (الجعجعة) دون تلاحم حقيقى أو خطر يهدد أياً من أطرافها.

كانت بسملة قد ثارت في وجهه كعادتها ، واستأنفت حلقة جديدة من حلقات مسلسل (ربنا يخلصنى بقى) ، وزادت هذه المرة لدرجة جعلته يتركها في وسط الشارع هكذا فجأة ، بدون أى تهديد ولو حتى بكلمة تدمر منه ، وراح يتعد في الاتجاه المعاكس بسرعة أقرب للعدو كأنه لا يعرفها ولم يرها من قبل وسط نظراتها المذهولة.

كانت بسملة نموذجاً للأثنى (النكدية) ، (الزنانة) التى لا تمل أبداً تكرار ذات الحديث ، لا تمل أبداً إحصاء مرات فشله على مسامعه،

لا تمل أبداً إحصاء مرات مسانداتها إياه و(تعايره) بالصغيرة قبل الكبيرة .

كان أحمد قد تورط معها في علاقة جنسية كاملة هو الذى سعى إليها — ربما ليزيد من تورطه معها — وبعدما رضخت لمحاولاته التى استمرت عامين وأكثر ورضخت أخيراً لاحتياجها الفسيولوجى ، منحته ذاتها فى تمثيلية متقنة منها تجعله (غرر بها) ، ومنذ ذلك الحين بدا وكأنها قد تذكرت فجأة أن جيرانه يرمقونها بنظرات الاحتقار لكونها تزوره فى شقته وهو أعزب وحيد ، تذكرت فجأة أن خطبتهما تعدت العامين دون تقدم ملحوظ ، تذكرت أنه يهملها وينصرف عنها أياماً لا تعلم عنه فيها شيئاً ، تذكرت — وهذا الأهم — أنه لابد أن يتزوجها بأسرع وقت ممكن وظلت تضغط عليه حتى تكاد تسحقه.

كانت بسمه قد أدركت خلق أحمد وديدنه جيداً ، أيقنت أنه منذ وقع بها فى لحظة ضعف لعينة من كليهما ، وهو يلوم نفسه عشرات المرات يومياً ، تدرك أنه لم يرحم ذاته جلدًا على خطيئته ، وأنه ذهب إلى أبيها مرات ومرات يتوسل له أن يقبل عقد قرانه عليها

ولكن أباهما رفض في عناد البغال ، وأصر على أن (كتب الكتاب والدخلة ف يوم واحد) ، راح أحمد يختلق الحجج ، وأبوهما يختلق الأعذار ، كان على قناعة داخلية بأن هذه هي السبيل الوحيدة لتوبته ، كان حتى في أزمتهما المشتركة تلك يفكر في ذاته هو ، خلاصه من وزره هو ، لم يكن يهتم بها من قريب أو بعيد ، حتى يأس الفتى من كثرة المحاولات الفاشلة ، فذهب بها إلى محام ما حرر لهما عقد زواج عرفياً كالموضة بحضور شاهدين من معارف أحمد — الذين لا يقابلهم إلا نادراً — وهكذا أراح ضميره إلى حد ما ، وإن ظل يحلم باليوم الذي يعقد عليها عقداً شرعياً ينجيها من عذابات سقر .

ربما بسبب هذا أدركت بسمة أنها ملكته للأبد ، وأنه صار عبدها المطيع ، تجلده بلسانها — حربائى التصميم — فلا يملك منها فراراً وهكذا كانت (تمر مطه) مساءً وتلتقيه في المدرسة صباحاً بابتسامة مشرقة لأن (اللى فات مات وما ييقاش قلبك أسود بقى).

كان أحمد مستمراً في صب اللعنات على كل الموجودات في الشارع .. بدءاً بالقطط الضالة وانتهاءً بعواميد النور المظلمة في

التاسعة مساءً في شارع رئيس من شوارع المدينة ، حتى انزاحت
الظلمة بغتة ، وسطع البدر مهيباً جلياً على الإفريز المقابل.
صحيح أنه يبدو شاحباً لكنه ما زال بدرّاً وما زال فياضاً بالضوء
والأحلام ، فجأة انصرفت عنه شياطين الغضب وحفته ملائكة
التنعيم لتلقيه إلقاءً إلى الإفريز المقابل ليجد نفسه أمام (ست
الحسن)، وسندريلا الأمل .. ليلى .
ليلى ..

بطلة كل حلم يراوده ليلاً ، وكل وهم يحياها صباحاً .
ليلى بذات عينيها السوداوين الواسعتين ، كأثما دوامتا بحر في عتمة
الليل تتربصان بصياد غاف لتغرقانه ، وتعتمد أحمد السيد أن يصير
هو ذاك الصياد.

كانت إشراقة وجهها لرؤيته المفاجئة — وكأثما كانت تبحث عنه
بين وجوه العابرين — أكبر علاج له من إهانات بسمه القاسية ،
كانت ابتسامة ليلى الكاشفة عن أسنانها النضيدة ناصعة البياض
تنسيه واقعه المليء بأوجاع الفقر، وضعف بنيانه حديث العهد ،
وعذابات الحياة بشراكة جلاده المسمى بسمه ، كانت تمنحه الغد

المسلوب بيد اليوم الباطشة لتهدده كالرضيع حتى يقر عيناً في
حضرة روحها الحنون.

كانت تلك أول مرة يلقاها في الليل ، وكانت ترتدى السواد وإن
احتفظت بلمعان سنّها الباسم مما جعلها غريبة بعض الشيء عن
صورتها الأصلية ، فقد كانت ليلي بالنسبة له (ابنة النهار) دائماً ما
كان يراها والشمس مشرقة ساطعة تتوسط كبد السماء — حتى
ولو كانت الثامنة من صباح يوم شتوى ملبد بالغيوم — ربما لأن
شمسه الداخلية كانت تشرق لمراها .

كانت تعشق الألوان وثياها دوماً زاهية مبهجة متناغمة كأنها لوحة
فنية حتى أنه كان يشعر بالحسرة لمراى ملابس بسمة التي تختار لها
ألواناً عديمة الاتساق مع بعضها ، وكأنها تعاني من خلل ما بالشبكية
يجعلها تختار دائماً القمى والمنفر والمجهد للعصب البصرى

كانت ليلي هي ليلي ، ذات الدفء الذى يطمئن قلبه لمجرد لمس
أناملها في مصافحة خجلى ، وإن كانت في نسخة أقل بهاءً ، لم
يتبادل معها غير جمل معدودة خاطفة لم تستغرق أكثر من دقيقتين
عرف خلالها أنها تعمل حالياً في أحد المصارف الأجنبية ، وعرف

أيضاً أى الفروع ، وعرف — وهذا الأهم — أن أحقاده أتت أكلها
أخيراً ، وأنها قد فسخت خطبتها وصارت حرة كاليمامة .
لم يدر كيف تركها تمضى وكيف عاد إلى منزله مخلقاً فى سموات
الحلم ، غارقاً فى بحور الأمل ، راضياً عن ذاته ، عن الشارع ، عن
المشاة ، عن الكون بأكمله ؟ .

كان منتشياً نشوة لم يخبرها فى الجنس ، كان سعيداً كأنه وجد
الحقبة السامسونات أياها ، لم يستطع نوماً فى هذه الليلة وروحه
ترفرف بجناحين من حب فى فضاء واسع رحيب لا يحده سقف ،
لهذا صعد مهرولاً إلى السطح حيث السماء تتزين بالنجوم فى مشهد
ينبض بالرومانسية ، وحيث المشهد البانورامى الخلاب لشوارع
الإسكندرية باهرة الحسن فى الشتاء ، وحيث الدفء الإنسانى
متمثلاً فى العزيز أوزو .

لم يكن أوزو فى منزله تلك الساعة فعاد أحمد إلى شقته منتشياً بخمر
الحب ، وذهب ليلقم جهاز الكاسيت شريط (من أول لمسة)
أحدث ألبومات منير ، كان من القلائل الذين يهون سماع محمد
منير ، حيث السائد أغانى محمد فؤاد وإيهاب توفيق ومصطفى قمر
وحميد الشاعرى ، وبالطبع عمرو دياب بعد النجاح الساحق لألبوم
(راجعين) ، وهكذا دخل أحمد عالم العجائب كأنه (أليس) مع (يا

حبيبي عود لي تاني) ويمزقه الحنين للوصف الرائع لـ (ليلي) التي
حتماً كان يعرفها الشاعر مجدى نجيب لجعلها (ضحكة الرمان).

ظل الكاسيت القلاب — ياباني الصنع فما كان ينحط لاستعمال
التايوانى — يكرر وجهي الشريط على التوالى ، حتى فطن أحمد
السيد فجأة لكونها السادسة صباحاً.

كان قراره حاسماً ، فلم يكن يومه يحتمل بسمة ، ولا المدرسة ، ولا
مهاترات مديرها المتعجرف الذى يظن نفسه ولى نعمتهم برغم
كونه موظفاً مثلهم ، يرتجف من تقارير المفتشين ، وتعليمات (
كاميليا حجازى) مديرة الإدارة التعليمية.

وهكذا عرج أحمد على المقهى كى يتناول طبقاً من الفول الطازج
من عربة بغدادى ، ويجرع الشاى بالحليب ، ويدخن قليلاً وبعدها
يتوجه ماشياً إلى البحر كى يستقل أى مشروع — ميكروباس —
لوجهته ، كان قراره الذى لم يفكر فيه مرتين ولا حتى مرة واحدة.
هو أن يزور ليلي فى عملها ويحاول إعادة الود ، وهكذا وجد نفسه
فى طريقه إلى (رشدى) حيث بنك (الحظ) و(السعادة) الذى يحلم
بتحويله إلى بنك (الأسرة السعيدة) ذات يوم.

لكنه فى منتصف الطريق عدل عن الفكرة لكونها لم تتجاوز العاشرة
صباحاً، ووجد الأفضل أن يذهب فى آخر ساعات العمل ليقضى

معها وقتاً أطول ، وأكثر حرية بعد انصرافها ، فتزل من المشروع وتابع السير حتى وجد نفسه في الإبراهيمية ولا وجهة لديه يقضى فيها وقته حتى الظهيرة ، حتى لاحت له سينما أوديون فتحرك باتجاهها.

كانت سينما أوديون كما خبرها طوال أعوامه الفاتئة (مركزاً ثقافياً هندياً) ، لا تعرض في حفلاتها سوى أفلام أميتاب باتشان ، هوس المصريين في تلك الفترة، ولكن دوام الحال من الحال ، لسبب غير مفهوم أقبل الجمهور على الأفلام الهندية بصورة مرضية تثير علماء الاجتماع وصارت (الشعلة والجبايرة) و (مارد) و(التوأمان) مقررات دائمة على منهج كافة وسائل الرؤية ، سواء أفلام السينما أمشرطة الفيديو أم حتى القناة الثانية طوال أيام العيد ، وكما تصاعد المد فجأة تراجع الجزر أيضاً فجأة فانصرف ذات الجمهور عن ذات الأفلام دون أية مقدمات حتى وجد صاحب هذه السينما نفسه في مأزق حقيقى وشارف على الإفلاس، فما كان منه إلا إنه اقتنى عدة أجهزة (فيديو جيم) ، التى تعمل بالعملات المعدنية وصار يؤجرها — كمصدر مؤقت للربح — حتى تنحسر الموجة فيغير نشاطه تبعاً للموضة السائدة ، وهكذا وجد أحمد نفسه (شحط)

يقف عملاقاً بين التلاميذ (المزوغين) من مدارسهم القرية والمكتظة بهم الصالة — برغم خواء الأجهزة من اللاعبين — .

كان أحمد السيد بالرغم من نضجه مدمناً لألعاب الفيديو جيم خاصة مقاتل الشارع (street fighter) وكان من روادها الأوائل الذين (قفلوها) في صالة ألعاب محطة الرمل التي أغلقت الآن ، كان من عشاقها حتى إنه شاهد فيلم (فان دام) المستوحى من قصتها والمسمى بنفس الاسم خمس مرات في سينما (أمير) ، بالرغم من كون فان دام بطل الفيلم كان يؤدي دور الطيار الأمريكي الذى ليس له تأثير حقيقى فى اللعبة ، والذى لم يكن هناك مجنون (يلعب) به.

ولهذا وجد أحمد نفسه يشتري (كُوَيْن) ، ويبدأ اللعب ببطله المفضل (كين)، بطل اللعبة الأصلى ، وراح يقاتل فى الشوارع فى محاولة منه للوصول إلى (الزعيم) ، وبدأ الحضور يتحمس لإتقانه اللعب ، وتعالى عبارات التشجيع وتضافرت مشاعرهم معه كأنه (بطلهم فى معركة وطنية كبرى) ، وأثار لعبه حماس بعضهم لمنزلته فى (جيم زوجى) ، وهكذا راح يقهرهم جميعاً حتى استفز مشرف الصالة شخصياً ، وهو شاب حديث السن يبدو (ابن ١٨) و(أكل عيشه) هزيمة رواد الصالة.

كان فتى ظريفاً اسمه عليّ ، راح يمازح أحمد وهما يتباريان أمام تشجيع الجمهور ، ويتبادل السجائر معه ولكن أحمد لم يكن ابن الأُمس، كان (يلبّسه) ضربات القوة الداخلية (أدوكن) بصورة متلاحقة خاصة وأن عليّاً كان يلعب (بالبت الصينية) ، فتوحد أحمد مع (كين) ، وتخيل هذه البنت بسمة وراح يناولها (تجميعة الآوريوكن) بانتقام موتور .. لم يرحمها منه سوى دقة الواحدة ظهراً في ساعة الحائط.

ترك أحمد الصالة — مع وعد بالعودة فيما بعد — ، وخرج مهرولاً ليحشر نفسه حشراً في مشروع ما حتى وصل إلى (رشدى) ، فقطع الشوارع الواصلة للمصرف في سرعة حتى بلغ بوابته الرئيسة في الثانية إلا الربع ، فتوقف على الإفريز المقابل يلهث ويتسم في انتظار معشوقته.



oboi.kan.com

" إن مصادفة طيف هفهاف لمشاعر نبيلة . قد لا ترقى لكونها
حبا . مرة أخرى فى واقع مليء بالمرار لهو أمر يثير الشجن فى
النفس ، ربما ليس حسرة وحيناً لذات المشاعر أو لنفس
القلب الذى وهبها وولى فيما مضى ، ولكنه غالباً ما يكون
حيناً لنسخة أظهر وأنقى من ذواتنا تركناها فى الماضى النقى
لنمضى فى حاضرننا الملوث "

انتابت ليلي كثير من المشاعر المتناقضة لمراى أحمد وهو يتسم في نشوة بلهاء تدلى لها فكه السفلى في مشهد مضحك ، كأنه طفل يريد مفاجأة أمه بالـ (١٠/١٠) والنجمة الحمراء اللتين منحتهما إياه (الأبلة) في (كراسة الواجب).

دهشة عارمة انتابتها ، ثقة مستترة في سحرها ، إعجاب بمشايرته وسعيه خلفها ، فرحة لثقتها بقدمه من أجلها فقط ، خجل من أن يراه زملاؤها فيبدأون الغمز واللمز والتعليق ، وجيب في قلبها لتعلقه بها لهذه الدرجة ، مشاعر غريبة عنها لا تقدر على توصيفها.

- أنت مجنون يا أحمد ، إيه اللي جابك هنا ؟

تقولها وهي تتلفت حولها وتسحبه من زراعته إلى شارع جانبي كأنه أخوها (السوابق) الذي تتنصل منه وقد خرج من السجن وأتى لابتزازها.

- ما صدقت لقيتك ومش هاسيبك تضيعى منى تانى أبداً.

يقولها في تهدج ووله ، كأنه ممثل رديء في مشهد عاطفى من مسرحية قصر ثقافة إقليمي.

- الله يخرب بيتك ، هاتفضحنى ... تعالى.

تسحبه من يده كأنه طفل تائه تبحث له عن أمه ، وتمضى به فى شوارع عدة متقاطعة حتى بلغت به البحر ، فاستندت على سور الكورنيش أعلى الكبائن فى (ستانلى) ، وتنهدت ثم نظرت إليه فى لوم دون تعليق.

- باحبك يا ليلى وخلاص هاعمل إيه يعنى ، باحبك من زمان قوى ، من اول يوم شفتك فيه وأنا باحبك ، وكنت باتقطع وأنا شايفك بتروحي من أيدي لواحد تانى ، باحبك ومستعد أعمل أى حاجة عشان احافظ عليكى وبس.

- مش معقول اللي أنت بتقوله ده ، أنت مراهق يا بنى ، إحنا صحيح اشتغلنا مع بعض فترة مش صغيرة بس عمرنا ما اتكلما فيها كلمتين على بعض ... وماشفتنيش غير دقيقتين إمبارح من يمكن ٣ سنين ، وجاى النهاردة تقول لى باحبك

- مافكرتش فى منظرى هيكون إيه قدام زمايلى لما يلاقوك
واقف مستننى كده ، ما فكرتش فى كلامك ده هيعمل إيه
فيا وأنا ف الحالة دى.

- والنبي يا احمد سيبنى فى اللى أنا فيه ، أنا مش ناقصة .

تشريح بوجهها ناحية البحر ، وتتركه يتأملها مرتبكاً ، لا يعرف ماذا
يقول بعد هذا الجنون ؟ ، دائماً ما كان لسانه الزلق يضعه فى
مواقف عسيرة يصعب عليه الخلاص منها ، وكثيراً ما كان يقول
الكلمة ويندم بعدها أياماً وأحياناً سنوات ، ولكن ما باليد حيلة ،
ما حدث قد حدث ولقد أراحه هذا الاعتراف كثيراً بعدما عاش
سنوات حبيس صدره ، يجثم على أنفاسه ، ويمنعه من منح قلبه
لبسمة خالصاً.

صحيح هو لم يفكر فى أى شيء مما قالته ، كان فقط يريد رؤيتها ،
يفتعل أى حديث ليستمتع بصوتها الدافئ ، يستنشق أنفاسها العطرة
كأنها (برسفونيه) ربة الربيع عند الإغريق — هل كان الإغريق
يعرفونها لتلهمهم أوصاف آلهتهم ؟ — لقد خطط للقاء مختلف معها
يتقرب فيه منها أكثر ، يعرفها أكثر ، إنه حقاً لا يعرف عنها أى

شيء ، ولكن يبدو أنه يفقد عقله أمام فتنتها ، فلا يقدر على شيء سوى أن يفيض حباً كتلميذ الإعدادى حينما يرى جارتة الحسناء فى (المريلة الكحلى).

- أنا آسف بس غصب عني ، أنا كان نفسي أقولك باحبك من زمان قوى ، أنا مش محتاج لحاجة ف الدنيا قد ما أنا محتاج لك يا ليلي.

تنظر فى عينيه نظرة طويلة حائرة بين رغبتين تجاهد كى تقاومهما ، رغبتها العارمة فى صفعه على وجهه لإحيائه للأثنى التى دفتتها بداخلها وأراحتها من عذابات هذا الوهم المسمى إفكاً بالحب ، ورغبة أخرى فى إلقاء نفسها بين ذراعيه لذات السبب.

بعد لأى تمالكت نفسها ، وانتزعت من حنجرتها رجاءً فى صيغة الأمر لتقول :

- سيبنى دلوقتى يا أحمد ، سيبنى أرجوك.

وتركته لتعبر الشارع هرولة ، ثم تختفى فى سيارة أجرة تعود بها إلى منزلها ، بينما هو لا يزال واقفاً فى مكانه محملاً فيها بعينين

مذهولتين مسحورتين بهذه الحورية باهرة الحسن — مريضة
الاكتئاب — .

لم يعرف بعدها كيف وصل إلى بيته ؟ ولا كيف وجد نفسه أمام
أوزو المنهمك في تثبيت ضلفة كومود في طور التشطيط ، بينما
العرق يغمره برغم طقس أمشير العاصف شديد البرودة ، كأنه في
إعلان تلفزيوني عن كفاح العمال ، وراح يلح عليه أن يدخل معه
قليلاً يحدثه في موضوع مهم وعاجل لا يقبل التأجيل ، ولكن أوزو
كان منهمكاً بالفعل ، فتركه أحمد على وعد منه أن يمر عليه مساءً ،
ودلف بعدها إلى غرفته وحيداً ولكن مشاعره المتزاحمة في قلبه
وأفكاره المتضاربة في عقله لم يتركها له مجالاً للوحدة .

يجلس أحمد على الكنبه متدثراً بالغطاء أمامه بابور جاز المشتعل
يتدفأ عليه، ينبعث من الكاسيت أغنية "كل الحاجات" لمحمد منير،
الصادرة ضمن ألبوم "شيكولاته" عام ١٩٨٩ ، حتى قاطع الموسيقى
طرقات إيقاعية على الباب يصاحبها صوت أوزو .
تخض متثاقلاً ليفتح الباب ، فدلف منه أوزو مرتعشاً ، وألقى بنفسه
على الكنبه بجوار صديقه وهو يفرك كفيه طلباً للدفء .

أوزو متسائلاً : عندك شاي؟

نفض أحمد مبتسماً وهو يناوله علبة السجائر ويبدأ في إعداد الشاي،
بينما أوزو يشعل سيجارة من البابور.

أوزو : لأوضة عندك دفا ، أنا عندى صواريخ هوا فوق.

أحمد : ربنا يكون ف عونك السطح صعب قوى ف الشتاء.
أوزو يصغى قليلاً ، يمتعض وجهه:

- إيه يا بنى اللى بتسمعه ده ؟

وضع أحمد البراد على البابور وجلس بجوار صديقه:

- ده محمد منير ياعم الحاج

أوزو مستنكراً : أنا مش عارف أنت بتسمعه إزاي

أحمد فى حماسة كأنه يدافع عن مذهب دينى :

- ده أحسن واحد بيعنى ف مصر.

أوزو فى سخرية :

- أنت هتكذب ، كل شهر مجلة الشباب بتعمل استفتاء

أحسن المطربين والشرايط، وكل مرة محمد منير بتاعك ده

يطلع الأخير وللا قبل الأخير بالعافية.

أحمد يصب الشاي ويناول له لصديقه (مبتسماً) :

- عشان فنان سابق زمنه ، محدش هيقدره غير لما يموت زى كل
العظماء

أوزو فى تأمل : فعلاً معاك حق ، البلد دى مدحش بيتكرم فيها غير
لما يموت.

أوزو : عارف وأنا فى اليونان ، كنت باشغل لهم فى المصنع شرايط
أم كلثوم ماكانوش فاهمين منها حاجة ، بس كانت بتعجبهم قوى.
أحمد : أنت صحيح ليه روح اليونان بالذات؟

أوزو : بعد ما طلعت م الجيش مالقيتش صنايعى فى مصر.

أحمد : أه أنت كنت فى أيام الحرب صح؟
أوزو باستنكار : أيام الحرب! يابنى أنا واللى زي هم الحرب ذات
نفسها ، أنت ما شوفتش نجمة سينا اللى عندى فوق دى؟ ده
الرئيس السادات الله يرحمه سلم عليا بنفسه.

أحمد : أيوة يا عم شفتها ، والله مصدقك.

أوزو : لا أصل أنت مش فاهم ، أنا كنت سلاح مهندسين؟ يعنى
أول ناس عدت القناة، إحنا اللى وصلنا الكبارى عشان الجيش
يعدى ، مش بس كده، السرية بتاعتى كانت بتكسح الألغام اللى
زرعوها اليهود ورا خط بارليف عشان دبابتنا تتقدم فى سينا ،

كانت النار حوالينا من كل حة ، م الأرض و السما م الشرق والغرب ، موضوع كبير يعنى.

أحمد : ده أنت كنت بطل بقى.

أوزو (يسرح فى الذكرى) : وأى بطل يا بنى ، الصراحة السرية كلها ، لأ الجيش كله كانوا أبطال.

أحمد : ومش بتشوف حد من زميلك لحد دلوقتى؟

أوزو : كل فى فى وفين ، الدنيا توهتنا بقى.

(يضحك بسخرية) ولا أحنا أصلا توهنا أول ما خرجنا م الجيش.

أحمد : إزاي يعنى ؟

أوزو (بسخرية مريرة): طلعنا لقينا البلد مافيهاش صنايعى واحد ، مفضلش فيها غير بياعين البلوييف والسفن آب والقمصان المشجرة.

أحمد : وبعدين عملتوا إيه لما لقيتوا كده ؟

أوزو : واحد زميلى قدم طلب تعيين فى الحكومة قاموا شغلوه فراش

ف مدرسة ، وواحد تانى راح اشتغل عتال فى الميناء، واللى

ماستحملش ، سافر السعودية ولسه مارجعش لحد دلوقتى.

أنا بقى ما حبتش جو الخليج ده كنت عايز أروح أوروبا على طول

جيت أروح إيطاليا معرفتش ، جت ف سكتى اليونان وقعدت فيها

لحد ما أبويا الله يرحمه تعب.

أحمد : الله يرحمه .

أوزو : كان يونس أخويا تجوز واخواتى البنات على وش جواز، يا دوب أبويا مكملش سنة عيان وراح للى خلقه ، لقيت نفسى شاييل حملهم لحد ما شورتهم الثلاثة ووصلتهم لبيت رجالتهم. عشان يرجعوا بعد كده ينكروا خيرى.

أحمد : معلش يا أوزو أنت عملت اللى عليك.

أوزو بمرح مفاجئ كأنه يحاول تجاوز أحزانه يميل ليسأله :

- المهم كنت هتولد ليه عشان تكلمنى العصرية ؟

- أنا باحب يا أوزو ، باحب قوى وبجد وهاموت عليها.

كان أوزو يعرض على شفته السفلى ، وينتقى فى ذهنه أشد الألفاظ بذاعة كى ينعت بها صديقه عدم المسئولية الذى يريد أن يترك (أكل عيشه) من أجل هذا الكلام الفارغ ، ولكن أحمد لم يمهله واستأنف :

- مش الزفة خطيبى ، دى بنت بجها من زمان قوى

وشوفتها النهاردة وقولتها باحبك وبقالى سنين بحلم بيهها لحد ما قابلتها.

كانت دهشة أوزو بادية على ملامحه وهو يسمع هذا الكلام لأول مرة ، منذ عامين وأكثر وأحمد لا حديث له إلا عن بسمه — التي ظلمها أبوها حينما اختار لها هذا الاسم — ، بسمه التي يحبها أحمد لدرجة الوله أياماً ويلعنها بمنتهى المقت أياماً كعادة أى زوجين أو خطيبين فى مرحلة ما بعد (الورد والدباديب) ، أول مرة يعرف أن هناك أخرى، بل والأدهى أنهما موجودة ومؤثرة وقد تكون (قدم يمين) هذه المرة.

— أنا مش فاهم حاجة ما تحكىلى المشوار من أوله عشان أقدر أفيدك.

فى حوار مستفيض مشبع بالتفاصيل المهمة والهامشية حكى أحمد لأوزو كل شيء — بالطبع ماعدا علاقته الجنسية ببسمه والتي يظنها أوزو لا تتعدى القبلات والأحضان المعتادة — وبعدها سأله أوزو :

— يعنى أنت بتحبها للدرجة دى؟

— ياااااه وأكثر مما تتخيل ، دى حلم حياتى يا أوزو.

— طب وهى بتحبك؟

— ماعرفش ، بس كل اللى أعرفه أنى بحبها قوى يا أوزو ، ونفسى تكون من نصيبى.

- مادام ما معاكش فلوس يبقى متفكرش من أصله.
- وهو الحب كمان محتاج فلوس؟ كل حاجة بالفلوس ،
الفلوس مش هى كل حاجة.

أوزو (ينظر له باحتقار) : إنت اتقبلت ولا إيه؟ الفلوس طبعا كل حاجة فى الدنيا.

أحمد معترضاً : لا طبعا ، الفلوس ما بتشتريش الصحة ، ولا الحب ولا راحة البال.

أوزو ينهض (بانفعال) : فوق يا أحمد م الهطل ده ، أدبك قاعد تعيط على حته بت وإحنا بنام باليومين من غير عشا ، الفلوس هى كل حاجة فى الدنيا دى من يوم ما ربنا خلقها، والهبل اللى زيك بس هما اللى بيتكملوا بفلسفة فارغة .

أحمد ينظر له غير مكتثرٍ مما يزيده حنقا ، يجلس بجواره ، يضع يده على كتفه يتحدث بهدوء كأنه يلقنه درساً .

أوزو : شوف يا أحمد يا حبيى .. الفلوس هى اللى تقدر تشتري بيها البيت اللى تتجوز فيه البنت اللى بتحبها ، تشتري الأكل اللى هتطبخهولك بإيديها ، تشتري راحة البال إالى تظمن بيها لبكرة

حتى الصحة .. يمكن الفلوس ما تعرفش تشتريها، بس اللى عنده سرطان ومعاها فلوس .. يقدر يشتري بيها مسكنات للوجع ،

أوضة نظيفة ف مستشفى ، يشتري بيها الدكاترة والمرضة اللى
تخدمه ، يشتري كل حاجة تخفف وجعه وتخليه يستحمل آخر
ساعات العمر ويموت بكرامة .

تدمع عيناه ويختنق صوته فيتنحج ثم يستأنف :

— لكن أهالينا بقى ، ماحيلتهمش غير الصوت ف عنبر أورام
مستشفى حكومة كأنه معتقل وفي الآخر يموتوا من غير ما حد يحس
بيهم ويتدفنوا ف ترب الصدقة من غير حتى ما تتكتب أساميهم ع
الرخامة بتاعتها.

يصمت هنيهة ، وأحمد يتأمله غير مصدق لما سمعه تواء.

أوزو (ينهض) : أنا ماشى هاروح أنام عشان أفتح من بكرة بدرى،
يمكن ربنا يرزقنا بحق العشا والسجاير

أحمد معقباً فى أمل واه :

— يمكن بتضيق علينا قوى عشان تجيب آخرها ، وبعدين

تفرج من وسع ع الآخر.

أوزو : يا رب تفرج قوى ونعرف نطلع م البلد اللى مكلبشة فينا
زى القراضة دى ، سلام.

يختفى أوزو في ظلمة السلم صاعداً لغرفته ويترك أحمد لذاته الخرساء يسألها ولا تجيب.

هل فعلاً تحبه ليلي ؟ ، فرحتها لرؤيته تؤكد ذلك ولكن هذا ليس كافياً ، عله موهوم.

وإذا أحبته فهل ستقبل به زوجاً؟ ، وضعه المادى الحرج ينفى هذا. فإن قبلت ، وهذا هو الأهم ، ماذا سيفعل بسممة ؟ ، يهجرها بعد كل هذا ؟ ، يتركها دون أن (يسترها) ، كيف سيحتمل وزرها على رأسه يوم القيامة ؟ ، إن كانت هي لا تستحقه كزوج فهي أيضاً لا تستحق فضيحة كهذه ، وهو أيضاً لا يحتمل أن يصير ندلاً خسيساً لهذه الدرجة من الدونية.

إذن يبقى على بسممة وينسى ليلي ، ليلي التي خلقت لتصنع من زوجها أسعد الرجال وهو يطمع في أن يكون هذا الزوج.

تتراجع الأسئلة في رأسه ولا يجد لها جواباً ، ويظل يتلوى في فراشه حتى يهده الإعياء والسهاد فيغيب في ثبات طويل بلا أحلام تقريباً.

" إن الرجل لا يستشعر بؤس حياته وكآبتها حتى إذا ما صادف
حياة أجمل منها ،
إلا حينما يكون هناك من يوسوس له أنه يستحق الأفضل وأنه
يملك تحقيق ذلك "

كان رفض أحمد السيد لتوسطه في بيع محتويات مقبرة الجبل قاطعاً ،
ومما زاده إصراراً وجود بلقيس ومحاولاتها المستمرة لاستمالته ،
بلقيس المرأة الواثقة الآمرة التي ينصاع لها رجال أشداء كأنها
(صاحبة كرامات) ويصيرون تحت فتنتها جنوداً مجنّدة في إمرة
قائدهم.

بلقيس التي تذكره بدليلة قاهرة الشاطر حسن رأس الغول ، ومن
بعده ابنه على الزبيق الذي لم يقدر عليه صلاح الكلبي بكامل
سلطانه.

بلقيس التي اتخذته نداً في معركة النوعين على سيادة الجنس البشرى

كان رأى عاطف أيضاً قاطعاً ، فهو — عاطف — ليس ابن
البارحة بالفعل ، بالرغم من انبهاره ببلقيس وسقوطه في برائتها ،
إلا إنه كان يحاول أن ينال منها أى شيء بشرط ألا يدفع مقابلاً
يؤذيه ، ولهذا فحينما اتصلت به بلقيس وطلبت منه تحديد لقاء مع
أحمد لم يتردد ولكنه حذر أحمد كثيراً جداً منها ومن خطرهما الداهم

على أى رجل يقترب منها ، كأثما نافخ الكير الذى إما أن يؤذيك
ريجه أو يلفحك لهيبه لا يأتى من ورائها خيراً إلا لذاتها ، ولهذا فقد
حذر أحمد كثيراً من التورط معها فى تلك الصفقة المشبوهة ، خاصة
وهى تريده أن يبيع من أجلها (تهمة تودى ورا الشمس) ، فلا أحد
يعبث مع مباحث الآثار فى مقتنيات فرعونية اللهم إلا (العضمة
الثقيلة) الذى لا تطوله يد القانون.

إن مباحث الآثار قد تتهاون مع أى أثر من أية حقبة تاريخية أخرى
ولكنها لا تعرف الهزل عندما يتعلق الموضوع بالفرعنة ، ولهذا ولأن
بلقيس وصبوراً ليسا أهلاً لثقة أحد حتى ولو كان أبله ، فكان لا بد
أن يضغط عاطف على أحمد حتى ينسى الموضوع ، وهو ما صادف
هواه الشخصى فعلياً فتهرب منهما باقى فترة وجودهما
بالإسكندرية، ولكن أوزو ...

إبليس الذى ظل يجمل من الشجرة المحرمة حتى أكل منها آدم ، ظل
يعد أحمد بالمجد والشهرة والثراء كأنه فاست.

كان أوزو يعرف كل شيء ، وخاصة أن بلقيس اتصلت بأحمد عند
(أم خليل) مالكة الهاتف الوحيد بالشارع ، ولم يكن أحمد موجوداً
فاستقبل أوزو المكالمات كعادته فى المواقف المشابهة.

كان أوزو لا يحلم بالشراء ، فقط كان يحلم بثمان تذكرة الطائرة والتأشيرة التي تنجيه من هذا الفقر ، وتعيده لأوروبا — الجنة من وجهة نظره — ، لذا راح يلح على أحمد في قبول العرض بل وتحمس لمشاركته إياه وحاول تذليل جميع العقبات أمامه.

كان أحمد كلما تناسى الموضوع ذكره به أوزو ، راح يعدد له مظاهر الشقاء التي يحياها ، يعدد له مظاهر النعم التي سيناها ، كان يضغط عليه وهو يقاوم ، حتى ضغط أوزو على نقطة ضعفه التي تقهره .. ليلي .

ليلى التي أفسدت عليه قناعته بحلاوة الماضي الكاذبة ، وصبره على آلام الحاضر المهلكة ، وأمنياته للمستقبل غير المنطقية.

كان أحمد قد قهور للمرة الثانية بالرغم من خصم — نصف راتبه وإنذاره بالرفت بسبب غيابه المتكرر — وذهب في ذات صباح باكر لكى يجلس على مقهى في ذات الشارع الواقع فيه المصرف الذى تعمل به ليلي ، واستقر على مقعد يرى الشارع بوضوح وظل ينتظر ظهورها.

مع اقتراب الثامنة وجدها عند أول الشارع تتألق في طريقها لمقر عملها ، تمشى في حزم وصرامة لم يمنعها من نشر البهجة على كل الموجودات في طريقها ، كانت تشع نوراً وعطراً ورونقاً ، فما أن رآها حتى انطلق ليقطع عليها الطريق ، ودون كلمة واحدة كان يقتادها هو هذه المرة إلى ذات الشارع الجانبى لبيتها حبه ولوعته في عبارات طويلة متلاحقة بأنفاس متهدجة وقلب صادق الإحساس يتغزل فيها كأجمل ما سمعه هو شخصياً — مع كثرة قراءته لشعر الغزل — .

كانت تتلقى منه كلمات لم تتلقها عبلة من عنترة الذى خلد حبها في أشعاره ، كان أحمد السيد يبدو وكأنه قبلة هيدروجينية محملة بإشعاعات الحب المكبوت طيلة سنوات الطفولة والمراهقة والشباب البكر المعذب على يد بسمه ، ثم انفجرت فجأة في وجه أول غافل عبث بها .

وكانت ضحيته هى ليلى .

المسكينة التى ظلت تحيا أعواماً فى عطاء مستمر لكل من حولها دون أن تحصل على شيء ، ليلى المستترفة شعورياً ومادياً ومعنوياً من قبل كل المحيطين بها دون أن تسألهم عليه أجراً ، ليلى التى كانت تحلم برجل يحبها ويبدل فى سبيلها قليلاً ، فقط قليلاً من الجهد الجاد .

ليلى التى لم تتحمل عذابات أحمد الصادقة فى جفائها إياه.

لم تعرف هى ولا حتى هو كيف تحركا معاً متشابكى الأيدي مبتعدين عن كل شئ حولهما ؟ ، لا تعرف كيف وجدت نفسها تجلس فى مواجهته على مائدة إحدى مقاهى الكورنيش ؟ ، تصدم لوجود أخرى فى حياته هى أحق به منها ، تستمع لشكواه من (تباريح الهوى ولوعة الفراق) ، تتلقى توسلاته لها أن تبقى معه بلسان عاجز عن النطق ، يطلق فى وجهها عبارات الغزل التلقائية النابعة من قلبه الصادق فتخترق قلبها المحطم المتعطش للحب ليرويه.

طالت جلستهما النهار بطوله فى أحاديث تتخللها دمعات تنسال من كليهما بالتبادل ، شكاوى من حب سابق ومواساة يتبادلانها فيما بينهم ، لمسات خجولة منه لأناملهما البلورية الدقيقة.

كان أحمد وليلى أكثر شخصين متوافقين فى هذا العالم ، أكثر زوجين يشران بحياة سعيدة هائلة ، ربما لهذا استحال الجمع بينهما. كانت ليلى نبيلة بصدق ، لا تقبل أن تبني سعادتها على أنقراض تعاسة بسمة ، حتى ولو كانت هى تستحق ذلك ، خاصة وأنها

ذات خبرة سابقة مع ذات الموقف وما قاسته منه تنوء بأخرى أن تقاسيه.

كانت تشفق على غريمتها التي لم تختار أن تكون أقل منها جمالاً ، وبهاءً ، وذكاءً ، وروعة.

التي لم تملك إلا أن تكون أشد منها حدة ، وعصية ، وسلطة لسان ، وضيق أفق.

كان قرار ليلي حاسماً — كحكم بائن غير قابل للطعن — وهما يجلسان متلاصقين على سور الكورنيش يرمقان الشمس الغاربة ، وهى تغرق فى البحر ببطء ، فتنتشر دماؤها على سطح المياه الثائرة وكأهما المعادل الطبيعى لحبهما المذبح بسكين الأمر الواقع.

فقط طلبت أن تفعل شيئاً ليس من حقها لمرة وحيدة فى عمرها كله ، أراحت رأسها الدقيق على كتف أحمد ، وتركت شعرها فاحم السواد ، عطر الرائحة يدغدغ كيانه ، ويتزع من قلبه آخر آثار بسمه ، وبالمقابل طلب منها هو الآخر شيئاً دون أن ينطق — فقد كانت عيناه تتحدثان ببلاغة شعراء العرب الأقدمين — مال عليها كى يلثم جبينها الوضاء ويرشف قطرات عرق الخجل المتزاحمة عليه.

كانت ليلي تملك حواسه الخمس وتشبعهم.
حسنها الأسطوري يبهر بصره.
صوتها — رنم الملائكة — يطرب مسامعه.
عطرها — فردوسى الرائحة — يثير خياشيمه لأبعد مدى.
لملمسها الحريرى يبعث رجفة النشوة فى أعصابه.
طعمها الذى لم يكد يتذوقه يشبع قلبه النهم للحب.
كانت ليلي نموذجاً لفتاة أحلامه التى لم يعترف لنفسه بوجودها ،
كانت تستحق أن يحيا عمره لأجلها وما كان يطمع حتى فى أن
تبادلها المشاعر ، فقط كان يريد منها أن تسمح له أن يحبها.
ولكن كما قالت له فهو ملك الأخرى أحق منها بوجوده بجوارها ،
أما هى فملك لوحدها التى ألفتها ، وليبق ما بينهما ذكرى جميلة
يسترجعها أحدهما فى لحظات الشدة ليستطيع تحمل حياته القاسية
دون وجود الآخر وكفى.
ورحلت ..

تركته للأبد مع رجائها ألا يحاول أن يراها بعد اليوم حتى تدوم
ذكرى هذا اللقاء حتى آخر العمر.
رحلت (ابنة النهار) ورحلت معها نثسها لتتركه وحيداً وسط
سيادة الظلمة على السماء والأرض وعلى روحه البائسة.

" إن المرء ليحتمل الفقر وغلبة الدين وقهر الرجال طالما
انقطعت به سبل التغيير ، ولكن إذا ما لاحت له ولو ربع فرصة
فى الأفق لسعى خلفها بكل ما أوتى من قوة حتى ولو نازعته
عليها كل كواسر البرية "

يقف أوزو على السلم الخشبي بـ (فانلته) الداخلية التي تبرز تكوينه العضلي دقيق التشريح ليعيد توجيه هوائى التلفزيون أنيس ليايهم ، خاصة تلك الأمسية الهادئة المنعشة بفعل نسائم ليل الصيف .

كان أحمد يقف فى مواجهة الموقد الصغير يمسك بكنكة القهوة التي يعدها ، بينما عقله شارد فى مكان وزمان آخرين ، تائه بين جمال الحياة فى وجود ليلي وتعاسة أيامه بدونها ، حتى فارت القهوة وفسد طعمها فصب لأوزو ولنفسه باقى السائل المحترق فى كويين صغيرين ، وأشعل سيجارة من علبته شبه الخاوية ، وراح يتأمل تتابع الصور على الشاشة دون أن يعي شيئاً كأنه يتابع فيلماً تركيا غير مترجم ، حتى فرغ أوزو مما يفعله وجلس بجواره كى يتابع (مايكل كيتون) وهو يرتدى زى الوطواط ويجاهد لإنقاذ (مدينة جوثام) من البطريق (داني ديفيدو).

— بع إيه القرف ده يا بنى آدم.

يقولها فى اشمزاز بعدما ذاق قهوته رديئة الصنع ، المغلية إلى حد الاحتراق.

— بحبها قوى يا أوزو ، مش عارف أعيش من غيرها.

كان أوزو قد مل ذات الحديث طيلة الشهرين الماضيين ، لا ينفك
أحمد أن يصارحه بحب ليلى بمناسبة ودون مناسبة حتى صار سمج
المعشر ، مملاً كطفل مدلل لا يتعب من (الزن) كى يشتري له أبوه
لعبة (سلاحف النينجا) باهظة الثمن.

يتنهد أوزو ويقول فى ضيق واضح :

- يا تقعد ساكت يا أحمد ، يا تترل تقعد ف بيتك عشان ما
نزعلش من بعض ، أنا زهقت منك ومن سيرة البت دى.
- بجبها يا أوزو ، مش قادر أستغنى عنها ، مش عارف
أشوف غيرها ، ما تستحملنى شوية يا أحمى.
- ما أنا قلت لك الحل بدل المرة ألف ، اللى أعرفه إن الحب
آخرته جواز تروح زى الشاطر وتطلبها من أبوها وتسيبك
من أم ضب اللى معاك دى مادامت منكدة عليك عيشتك.
- إزاي بس أروح أطلبها من أبوها ، يا عم هى فى فى وأنا فى
، دى بنت ناس قوى وأهلها مرتاحين وأنا بقيت خالى
شغل مش لاقى حق السيجارة.

كان أحمد قد تم فصله من عمله بسبب غيابه المتكرر بدون عذر ،
وبسبب حضوره شارد الذهن (اللى زى عدمه) فما كان من مدير

المدرسة إلا أن وجد فرصته القانونية للخلاص منه ، فألقاه في الشارع يتسول عملاً يغنيه عن سؤال الناس .
وربما كان هذا أفضل فما كان أحمد يحتمل رؤية بسمه كل يوم بعدما صارت بالنسبة له كحجرة الفئران التي سيحبسونه فيها بعد حين لأنه أخطأ ووقع بها .

صحيح أنه لم ير ليلي منذ شهرين وأكثر إلا أنها مازالت تحيا بداخله ، لا يملك منها فكاكاً ، وكانت بسمه تزداد بغضاً كلما زاد جفاؤه ، فكان هذا يزيده مقتاً ، وهكذا حتى صارت بالنسبة له (مالِكاً) الذى ينتظره كى يلقي به فى الدرك الأسفل من النار .

يقول أوزو :

- شوف يا أحمد الفرصة جت لحد عندك وأنت رفستها ، العملية بتاعة الصعايدة دى كانت ممكن تخليك باشا تدخل أى بيت وتخط رجل على رجل وتطلب ست الحسن والجمال ، بس أنت فقرى عاجبك حالك كده وأنت عمال تعدد على بت ، وإحنا بننام باليومين من غير عشا، يا راجل بلاش هبل وفوق بقى .

كان أحمد فعلاً يعتقد أن فقره هو المسؤول الأول عن تعاسته ، ربما لو امتلك المال لاستطاع أن يتخلص من بسمه ، كان سيعطيها ما يكفي أن يجعلها تستغنى عنه وربما تستطيع أن تجد طبيباً يجرى لها جراحة ترقيع و(يسترها) دون اضطرار أحمد للزواج منها ، ربما لو امتلك مالاً لاستطاع أن يتزوج من ليلي بصورة تليق بها ، لاستطاع أن يسعدها و يصنع لها حياة الرغد التي تستحقها ، ربما يستطيع أن يؤسس مشروعاً تجارياً يستغل فيه خبراته ، ويكسب من ورائه الملايين.

ولكن السبيل لهذا المال مخوفة بمخاطر مباحث الآثار وطمع صبور وكيد بلقيس الذى لا يقدر عليه رجل..

أحمد : يعنى لو كنت طاوعتك وخذنا الفلوس كنت هتعمل بيهم ايه؟

أوزو حالماً : ياه يا بنى ، هروح أطلع الفيزا مرتاح ، وأهجم البلد دى.

- يعنى ما تفكرش تعمل مشروع هنا
- هنا إيه يا بنى ، البلد دى مش بتاعت شغل.
- ليه يعنى ما الناس عايشة ومرتاحة.

- الحرامية والصيغ بس هما اللي معاهم فلوس، أنا شفت الموت ١٠٠ مرة في الحرب عشان أطلع م الجيش ألاقى بتوع الفراخ الفاسدة بقوا مليونيرات، البلد دى عايزة اللي يهبش ويجرى مش اللي عايز يشتغل.

- وأنت يعنى لو سافرت برة هتشتغل إيه؟

- أشتغل بصنعتى يا بنى ، ده أنا كنت باكسب ذهب ، لو كنت قعدت سنتين كمان كنت فتحت ورشة بحق ربنا تخلينى باشا.

- مش عارف بس أنا لسه عندى أمل في البلد دى.

- أوزو (يسخر) : خلى أمل تنفعك بقى ، ما انت بقالك سنين مكفى ع الدركسيون عمرك ما حلمت تشتري لنفسك عجلة.

- إنت تعرف إن أنا بعت جواب لواحد صاحى في اليونان ماشاء الله ربنا فتح عليه وبقي عنده مطعم سمك كبير قوى ف أتينا ، وكلمته ع المصلحة وهو عنده اللي يشتري.

أحمد في دعر بالغ :

- انت مجنون؟! إزاي تعمل كده ، إفرض الجواب ده وقع في إيد حد ، نروح في شربة مية ، ده احنا حتى ما نعرفش

إيه اللي ف المقبرة، وبعدين إحنا مالناش دعوة بيها هما
زماهم صرفوا حالهم بعيد عننا.

يضحك أوزو فى سخرية ويستطرد :

- أنا لسه مكلم أم هالة من يومين وقالت إنها مستنيانا وكله
تمام ، وإحنا مش شبهة عشان حد يفتش ف جواباتنا، ثم
إن جابريل صاحبي ده راجل جدع وما يبيعش صحابه
وأنا ياما خدمته هناك وهو مستعد يشيل اللي نلاقيه.

كان الدهول يعترى أحمد ، خاصة حين وصف أوزو اللعينة بلقيس
بأم هالة ، مما يعطيه إيجاء بالود ، والألفة التي تكونت بينهما مما يدل
على علاقة متصلة بينهما ، بينما هو غافل فى رثائه لنفسه ولعنااته
لبسمة.

- أنت عايز تورطنا معاهم باعافية ، أنا خايف يا أحمى م
الشغلانة دى.

- يا أحمد فوق بقى ، دى آخر فرصة لينا عشان نعدى الفقر
ونبقى بنى آدمين ، البيت هيقع على دماغنا ومالناش حد
نتكل عليه ، أنت عايز تتجوز البنت اللي بتحبها ، وأنا
عايز أهج م البلد دى وبلقيس متعلقة بيك ومستنيك بفارغ

الصبر ، فاضل ايه تانى ، يا عم هو أحنا عندنا ايه نخسره ،

خليها بقى يا طابت يا اتنين عور.

- بس يا عم دى شغلانة وقعتها والقبر.

- وماله ، على قد المخاطرة على قد المكسب ولا إيه يا عم

التاجر يا بتاع الصفقات.

كان أوزو يرى أن هذه المقبرة تحتوى على كنوز على بابا التى
ستجعلهم جميعاً مليونيرات يشترون الأحلام بنقودهم ، ويحصلون
على السعادة بشيك بنكى من حساباتهم الضخمة.

صحيح أنهم يقولون إن المال لا يشتري السعادة ، ولكن هذا فى
أفلام ما قبل ثورة يوليو التى كانت تصدر للمجتمع الكادح أفكار
السراية التى تقمع تطلعاتهم لمنازعة سادتهم أرباب الباب العالى فى
حياة النعيم ، أما عند أى شخص طبيعى فى الحياة الواقعية فإن المال
هو بالفعل مفتاح السعادة ، حتى لو كان مريضاً بالسرطان فإنه
سيشتري بنقوده ما يجعل نهايته آدمية محتملة الألم ، كما قالها أوزو
من قبل .

ولأن المال قابل لتحقيق الجنة على الأرض فقد شددت الأديان السماوية على مصدر هذا المال ، وقننت شرعية الحصول عليه وجعلت فيه نصيباً للمحتاجين.

كان أحمد يدرك أن (أوزو) يتحدث بالحق ، خاصة وأنهما أشد الناس احتياجاً لهذا المال ، وكانت صورة ليلي وهى مسيلة الجفنين ورأسها مستقر على كتفه لا تفارق مخيلته ، كان يتمنى أن يستأنف علاقته بها ، يتمنى أن يرشف من شهد شفيتها حتى يرتوى ولن يرتوى ، يتمنى أن يضاجعها مئات المرات فى الحقيقة كما فعلها فى أحلامه ، يتمنى أن يعود منهكاً من عمله مساءً ليجد ابتسامتها المشرقة فى انتظاره لتنسيه متاعبه.

ذلك الجدار الصخرى الذى يسد مدخل المقبرة كان يبدو كأنه يسد الطريق لأحلامه ، لجنته المرجوة على الأرض ، والأهم من ذلك سبيل الخلاص من بسمه.

وكان أوزو يبدو كعملاقاً أسطورياً مستعداً أن ينهش لحم أى شخص يمنعه من بلوغ مأربه ، وهذا يطمئنه نوعاً خاصة إنه لا يقدر على مجاهدة بلقيس بكل جيوشها وحده.

oboi.kan.com

" إن الذى عاش عمره دون أية مبادرة منه لاتخاذ قرار ما بمفرده ، حينما يتحرك أخيراً لتنفيذ قرار واحد نابع من ذاته ، غالباً ما تؤدى فعلته تلك إلى كارثة تدمر كل من حوله .. وهو على رأسهم "

ترتج السيارة السوداء ذات الدفع الرباعي ، بفعل سوء حالة الطريق غير الممهدة ، والتي لم تستطع متانتها ورفاهيتها مقاومتها فصارت أقرب لـ (مراجيح أبي العباس) ، بينما أحمد السيد يجاور أوزو في مقعدهما الخلفى الوثير ويصطدم به مع كل مطب لتنتطلق لعنات بلقيس لقيادة صبور المستهتره وهى تتفافز بجواره على المقعد الأمامى للسيارة خلال رحيلهم جميعاً إلى المجهول فى رحلة طويلة ، طويلة كما يجب أن تكون نموذجاً لرحلات صيد الجوائز واختراق الوديان وشعاب الجبال بحثاً عن الثراء .

لم يصمد أحمد كثيراً أمام مجادلات أوزو المنطقية ، وتنكيد بسمة الجهنمى ، وفتنة ليلى المثالية ، وكيد بلقيس إبلىسى التخطيط .
لم يقاوم كثيراً وهو يُحشر حشراً فى سيارة صبور الآتى من أعماق الجبل كى يحمله إلى السعير بمصاحبة الشيطانة اللميس ناهدة الصدر بلقيس .

وهكذا وجد نفسه فى رحلة قيادة صحراوية مهلكة بمصاحبة صديقه الأثير أوزو وعدوه اللدود بلقيس ، بينما ذلك (الدلدول) صبور يجلس خلف عجلة القيادة ، وينطلق بهم نحو غيبه الظلم .

يرتب أوزو أغراضه فى حجرة الضيوف الواقعة بجوار المندرة فى الدور الأرضى من بيت الجيايدة المسلح ، البيت الباقي بعد السيول مع قلائل من أقرانه ، ويقول لأحمد دون أن يلتفت إليه ، وهو منهمك فيما يفعله :

- فوق يا أحمد م التوهان اللى انت فيه ده ، الناس دى ديابة هياكلونا أول ما نغفلوا عنهم ، ما تفتكرش إنهم جايينا هنا عشان سواد عيوننا ، لولا حوجتهم لينا كانوا ضربونا بالنار من بدرى .

كان أحمد صامتاً طوال الطريق ، لم يتكلم إلا للضرورة المثرة للأعصاب ، كان شارداً أغلب الوقت ، يبدو هشاً قابلاً للتحطيم بنوت أى واحد من أولئك العمالقة المحيطين بهم منذ وصولهم إلى النجع ، وكان أوزو يخشى أن يشجعهم مظهر أحمد المتخاذل بالغدر بهما .

لم يكثر أحمد فى القول ، فقط قال فى اقتضاب :

- ربنا يستر .

فنظر إليه أوزو نظرة جانبية لائمة ، وترك ما بيده ليواجه صديقه ،
ونظر ملياً فى عينيه ، ثم قال هامساً :

- أسمع يا أحمد إحنا مش فى رحلة ، لو البقر دول حسوا فينا

الخوف ولا المماطلة ولا شموا فينا ريحة الحنية ولقونا مالناش

فى الليلة هتطير رقابينا بكش ف أونطة ومالناش عندهم دية

، إحنا أغراب ف قلب بلدهم ووسط ناسهم ، إمسك

نفسك وما توديناش ف داهية .

- الغدا جاهز يا أفندية .

أتتهم هذه الجملة المقاطعة من خارج الدار ، فنهضا مسرعين إلى

المنذرة كى يصطفوا مع صبور ، وبعض الرجال على (طبليتين)

عامرتين بطعام من الذبائح يكفى النجع بأكمله .

كان ذلك الجدار الصخرى الحاجب للمقبرة يجثم بكامل ثقله على

صدورهم أجمعين ، يحجب عنهم التنفس والنطق والأحلام .

لم تقهره المعاول والمطارق وعضلات الرجلين ، وبدا الحل الأوحـد

للخلاص منه هو التفجير .

لم يكذب صبور خبيراً فأحضر من الديناميت ما يكفى لنسف معبد
فيلة ، ولكنّ (دياب) منعه قبل أن يتهور . كان دياب ابن أخته
نعمة هو الأقرب إلى صبور سناً ، وهو صديق صباه ، ورفيق نزواته
، ومالك مفاتيح العالم السفلى للبحر الأحمر بأكمله ، وهو الوحيد
الذى يأتّمه صبور على سر كهذا .

كان رأى دياب قاطعاً فى عدم استعمال الديناميت ، فقد كانت
المقبرة ترقد فى جب كهف أجوف صار الآن جزءاً من دار صبور
الجديدة ، وكان خطر التفجير يهدد بتهوى المقبرة ، بل وانحيار
الكهف بأكمله ، ليدفن أحلامهم تحت جلاميد الصخور وأطنان
الرمال ، كانت حسبة القوة التفجيرية ، واختيار أماكن زرع
الديناميت تتطلب خبيراً بالمتفجرات ، ربما أحد الأشقياء من
المطاريد ، ولكن هذا أخطر عليهم ألف مرة من خطر الديناميت .
كان مأزقاً لا فكاك منه ، حيث إن خبراء المفرقات لا يستأجرون
من (معلمهم) الجالس على المقهى يلعب (جلبهار) على المشاريب

وقد ظل موقفهم معلقاً شهوراً عدة ، حتى حسمته بلقيس —
كعادتها — بعد اتصال هاتفى طويل بأوزو .

كان أوزو رجلاً نموذجياً يستحق كل قرش ينفق عليه ، فهو الوحيد القادر على إقناع أحمد بالاشتراك في الصفقة ، ويملك صلات بالخارج تزيد من فرص البيع ، كما إنه قوياً ربما بما يكفي لهدم هذا الباب اللعين بكتفه ، وكان — وهذا الأهم — ، مجنّداً في سلاح المهندسين أبان الحرب ، يشارك كتيبة في كسح الألغام الإسرائيلية ، ويتعامل مع المتفجرات ببراعة جعلته يسرح من الخدمة بدرجة رقيب مجند ، وكان كالعادة تحت سيطرة بلقيس الكاسحة .

استيقظ أوزو في اليوم التالى فى ساعة مبكرة بالرغم من سفرهم الطويل وأيقظ أحمد وراحا يبدلان ملابسهما استعدادا لبدء العمل ، بدا أحمد أكثر حماساً ورباط جأش من الأمس ، نشطاً مستعداً للتدمير وللجهد العضلى الشاق ، كأنه أيقن هو الآخر بأن هذا الجدار سد يمنع أنهار الخير من التدفق فى وجوههم ، صارت معركته الشخصية ، وصارت البضاعة خاصته ، وبات يشتم أنفاس ليلي العنبرية من فتحة استطاع صبور إحداثها فى الجدار.

خرج أوزو إلى المندرة ليجد نسوة الدار قد بدأن فى نشاطهن اليومى ، فجلس يجاوره أحمد فى انتظار الإفطار حتى هل عليهما صبور

نازلاً الدرج ، وتبعته بلقيس ولم يفت أحمد حمرة خديها والكدمية الخفيفة على جيدها البلورى الطويل ، والناجمة عن إطباقة شفيتين غليظتين عليهما لمدة طويلة .

كان صبور يؤدى دور (جوز الست) ببراعة تثير الحسد فى النفوس، فهو لا يفعل إلا ما تأمره به مولاته بلقيس ، باستثناء ممارسة الجنس الذى لا يقلع عنها إلا حينما تنهره .

وهكذا بدأ إفطارهم فى حضور جمع أقل من الأمس ، عرفا منهم دياب وهو شاب فى مثل عمر صبور تقريباً ويبدو عليه المكر وكثرة التجربة وهو الوحيد كذلك العالم بحقيقة الأمر على ما يبدو ، بينما حامد صهر صبور يبدو طيب القلب إلى حد السذاجة ، محدود الذكاء لدرجة الغباء.

وبعد الانتهاء من الإفطار حاتمى الطابع ، واحتساء لترات من الشاى الأسود الثقيل ، وتدخين (قاروصتين) سجائر متباينة الأصناف ، حتى صار أحمد مندهشاً لبلوغ هؤلاء القوم سن الستين بأسلوب حياتهم هذا. بعد هذا كله تحرك الخمسة منتقلين إلى بيت صبور الجديد فى حضان الجبل — موطن الحدث — يتقدمهم دياب ، ويتبادل التحيات مع كل من يقابلهم ، وأوزو وأحمد يسيران خلفه

فى وقار القديسين كأتهما (أصحاب خطوة) ، ريثما يتبعهما بمسافة
قصيرة صبور بك وحرمة (المصون) بلقيس صاحبة الحل والربط.

كان انبهار أحمد وأوزو لمراى المقبرة عبر الفتحة الضيقة فى أعلى
الجدار القاسى يبعث الطمأنينة فى قلب بلقيس والتوجس فى قلب
صبور ، كان سحر الفراغة قد وقر فى قلوبهما فصارا عبيدين
مستعدين لبذل حياتهما فى سبيل الوصول إلى منبعه.

كان أوزو يتحسس الجدار فى جذل كأنه يقبل امرأة حسنة ، كان
يشم أصابع الديناميت كأنه ييشها لوعته.
كان أوزو يبدو فى عيونهم كساحر القبيلة الذى إذا استمطر السماء
أمطرت، وإذا استنبت الأرض أنبتت.
كان رخاؤهم جميعاً بيديه ، وهلاكهم جميعاً أيضاً بيديه.

إن صبوراً لا ينجب .

تلك الحقيقة أدركها خلال سنوات خيانتة للبكرى ، وهو ما أسعده
حينها وجعله يستمتع بالجنس كاملاً دون حيلة ، ولكن بعدما
تزوج من بلقيس وصار كل أبناء بلدته — سواء المقيمون فيها أم

المهاجرون عنها — يلوكون سيرته ، صار هذا الأمر مصدر إزعاج دائم له ، و(معايره) فى الذهاب والإياب لعجزه عن تحقيق ذاته كذكر ، وهكذا صار مريضاً مستديماً لدى أكبر أخصائى العقم فى القاهرة دون أى تقدم ملحوظ فى حالته حتى ضاق من كثرة معذبيه ، وتمنى لو كانوا جميعاً قد هلكوا فى السيول فأراحوا واستراحوا .

كان يعانى بينهم معاناة كل مصرى يحيا بين مصريين . حيث أزمة الشعب المصرى تكمن تحديداً فى فضوله الشديد ، لا يوجد عند المصريين ما يسمى بالخصوصية ، ولا يوجد بينهم من لا يتدخل فى أدق تفاصيل حيوات الآخرين وكأنه يملك أرواحهم ، كثيرون يحبون فى أزمتهم ولديهم من المشكلات ما قد يدفع آخرين إلى الانتحار ، ولكنهم يتماسكون ويتكيفون مع مشكلاتهم ويتقبلونها ، بينما كل من حولهم لا يتقبلها .

فما كاد صبور يكمل شهرين فى زيجته الشرعية ببليس حتى بدأت أخواته يسألنها عن بواذر الحمل ، وبعد مرور أربعة أشهر بدأ رجال العائلة يسألونه ، وبعد انقضاء العام صارت جميع المخلوقات تسألها معاً ، وتجاوز كثير منهم وراحوا يقدمون له الوصفات البلدى للعلاج ، أو أسماء (شيوخ سرها باتع) ، بينما العقلاء منهم يقدمون

له عناوين أطباء مشاهير في هذا التخصص ، حتى ضاق هو بكثرة كلامهم أكثر مما ضاق بعقمه ألف مرة .

ولما كان صبوراً محترفاً في الاستفادة من كافة الأوضاع ، فلقد أشاع في الجموع بأنه (مربوط) بعمل من فعل جنية سفلية تسكن في الجبل ، وهى التى استدعته بعد الطوفان كى يبنى داراً تجاور كهفها التى تسكنه ، وأنه سيذهب إلى الإسكندرية كى يحضر (شيخاً) ليس له مثال ، يحفظ (العهود السليمانية) كلها ، ويقدر أن يصرف الجنية ويعالجه ، وكان هذا الشيخ هو أوزو بالطبع.

كان أحمد مستمتعاً بحالة الهدوء المحيطة بهم وهم يراقبون أوزو فى صمت وهو يجهز المعدات ، ويستعد للتفجير ، كان ادعاء أنهما معالجان روحانيان له مفعول السحر فى طاعة الخلق لهم ، ولانصرافهم عنهم تماماً خشية على أنفسهم من (الرصد) و(اللبس)

كان أوزو قد أحدث بضعة فجوات صغيرة فى الطبقة الخارجية للجدار ، اختار أماكنها بدقة بالغة فى تخطيط استراتيجى الطابع ، نفذها بصعوبة بالغة وجهد مضن ، وزرع بعدها أصابع الديناميت

في هذه الفجوات وثبتها بشريط لاصق إلى الجدار وراح يوصل بينهم بالأسلاك الكهربائية ، وأخيراً أوصل طرفي السلك بالكباس المستقر خارج الكهف خلف جدار حجرة المعيشة الخاصة بالدار ، ونظر إليهم جميعاً في قلق ويده مستقرة على الكباس.

كانوا جميعاً متراسين بجواره ، ملتصقين بالحائط ، والأدريالين يتدفق في عروقهم كأنهم مجموعة من (الفداوية) يفجرون رتل مدرعات إسرائيلية في السويس.
بسمل أوزو .. وحوقل .. وأغمض عينيه ، ثم ... ضغط الكباس.

كان دوى الانفجار مكتوماً باهتاً عما توقع أحمد ، كان يظنه انفجاراً طائشاً يزلزل الأرض من تحتهم ويرتج له الجبل ووتتطاير معه ألسنة اللهب الحارق في كل اتجاه ، ولكن يبدو أن أوزو أجاد فعلته بحق ، غبار كثيف غلف الكهف والدار ووجوههم الشاحبة ، غبار شمل كل الموجودات وألهب العيون والأنوف والشعب الهوائية ، ورائحة البارود المحترق تزيده فتكاً ، فراحوا يتدافعون نحو الخارج ، وهم يسعلون ويتمخطون وتدمع أعينهم ، فقط الغبار ليس أكثر من هذا ، وكان الانفجار مبرراً من قبل سكان النجع ، فلا بد أن

الشيخ أوزو يخرج العمل السفلى من باطن الجبل ، تلك الأمور معتادة عندهم فيما يبدو .

بعدما هدأت عاصفة الغبار ، وسكنت التربة ، واتضحت الرؤية عادوا ملتجئين إلى الجدار الصخري ليجدونه مازال مكانه لم يتهاو وإن تصدع بعنف وامتأ بالشقوق ، نظروا جميعاً بدهشة إلى أوزو ، وقبل أن يتفوه أحدهم بأية كلمة كان أوزو يتناول المعول ، ويتقدم بثقة تجاه الجدار لينهال عليه بعدة ضربات زادت خلخلته وحولته إلى عدة صخور مفككة ، عاونه الجمع على نقلها خارجاً بما فيهم بلقيس حتى اتسعت الفتحة وصارت في حجم الرجل البالغ ، فلم يكذب أوزو خيراً ودلف إليها ، وهم وراءه يلهثون انفعالاً .

حجرة واسعة عالية السقف مزدانة بالزخارف والنقوش على الجدران ، بها صندوق وأوعية فخارية يحيط بهم تماثيل دقيقة الصنع لجعارين ، وعدد هائل من الأصابع المضيئة (الونائيس) المصنوعة من الذهب الخالص والتي تبدو كشموس صغيرة تشرق في هذه الظلمات ، راح أوزو يتأملها ملياً ، يقلبها ، يعض عليها بأسنانه ، يختبر حرارتها على خده ، حتى قاطعه صبور بفتحه للصندوق كى يشهق هو ومن خلفه لمراى تلك المشغولات والأدوات الشخصية

الخاصة بصاحب المقبرة ، بل صاحبي المقبرة فهى تضم أدوات
ذكورية الطابع كالأسلحة والعصى ، وأخريات أنثوية كالمرود
والمشط ، وغيرهم كثير .

لم تتمالك بلقيس نفسها وأسرت إلى الحجرة الداخلية التى تزين
مدخلها التماثيل الأبوسية ، الحجرة التى كانت تناديها فى أحلامها
، الحجرة التى تطمع أن تمنحها مال قارون ، وملك سليمان ، وعمر
نوح .

هرعت بلقيس لتروى فضولها الذى ألهمه الظمأ إلى المجد ، لتجد أمام
ناظرها الجائزة الكبرى ، تابوتين متجاورين هما ، أحدهما لرجل
والآخر لامرأة فى كامل زينتهما ، ويحيط بهما كثير من التعاويذ
والتماثيل المصغرة لآلهة مختلفة ، وعدد من الأشياء التى تترجم إلى
أموال أسطورية تستحق ارتكاب الجرائم من أجلها .

فهرع دياب إلى الدار ، وعاد مسرعاً يحمل بيده كاميرا (بولارويد)
فورية ، وراح يلتقط الصور لكل شيء من حوله ، وأوزو يوجهه
لتصوير بعض النقوش ، وعدة زوايا لكل شيء بالمقبرة ، حتى امتلأ
حجر بلقيس بالصور السمكية المميزة لهذه الكاميرا ، وظل الجمع
يدورون فى المقبرة ويتأملونها حتى خفت الضوء واستعصت الرؤية ،

فطلب صبور منهم الخروج جميعاً ، والتشاور في قاعة الضيافة بالدار، بينما يتسلل لمسامعهم أذان المغرب .

بعدما اغتسل أوزو ورتب أغراضه ، وكذا فعل أحمد ، تحركا لغذاء متأخر الوقت نسبياً ولكنه مقصور على خمستهم فقط هذه المرة ، يتربعون على (طبلية) واحدة ، و بينهم بلقيس تتساءل عن خطواتهم الآتية .

كان أوزو يحمل معه الصور ، وثنائلاً دقيق الحجم والصنع لجعران من حجر ما كان ضمن المجموعة المجاورة للصندوق ، أخذه معه كدليل على أصالة المجموعة المعروضة في الصور ، وكان مصراً على الرحيل بسرعة لأن وجودهم لا يعنى شيئاً ، بينما سفرهم يعنى البدء في البحث عن مشترٍ في عجالة ، لينال كل واحد منهم (حستته).

كان كلامه منطقياً ووافقه أحمد السيد ، وطلب أن يتعاونوا على إخفاء المقبرة حتى وقت البيع ، ولكن صبوراً كان عنده حل أسهل لإخفاء باب الكهف بأكمله ، بنقل خزانة الملابس من حجرة الضيوف ووضعها أمام الفتحة لتخفيها ، خاصة وأن صبور يحيا هو

و بلقيس فى هذه الدار وحدهما ، ولا يستقبلان ضيوفاً إلا فى بيت العائلة ، وهكذا اتفق الجمع على سفر أحمد وأوزو فى الصباح الباكر ، وطلب أوزو من صبور كتمان الأمر تماماً ، وعدم القيام بأية محاولة للبيع من طرفهم حتى لا يذاع سر المقبرة ، وكان لا يملك الشجاعة لذلك فهو لا يجرؤ على عصيان بلقيس.

بلقيس التى ما أن اطمأنت على كترها حتى التفتت إلى أحمد كى تقهره ، كان صبور ودياب يجلسان فى الحجرة التى بها باب المقبرة يجرسان كترهما ويتناقشان ، بينما أوزو يجلس خارج الدار أمامهم يجرع الشاى الذى صنعه على (الراكية) ، ويدخن ويتأمل سكون الليل فى حضن الجبل ، وهكذا كانت فرصة بلقيس لتختلى بأحمد فى حجرته التى أعدها لاستقباله فيها هو وأوزو .

كان أحمد منهمكاً فى تأمل الصور ومحاولة استنباط أية معلومة تاريخية عنها ، ولكنه مثلهم جميعاً كان شديد الجهل بالثقافة الفرعونية ، لا يعرف عنها إلا القشور .

كانت بلقيس تتسلل إلى حجرته كأنها لبؤة تترصد غزالاً غافياً ، كانت في ثوبها الحريري المطرز تتألاً كحوريات الأحلام ، كانت بلقيس تريد أن ترى الرغبة في عين أحمد تتأجج ، تريده أن يتقرب منها ، يتوسل إليها ، يتحرش بها ، بل يحاول اغتصابها حتى تصفعه على وجهه ساعتها وتعطيه درساً في الأخلاق ، وتجعل صبوراً يجلده في ساحة البلدة ، ما كان يرضيها أقل من هذا بعدما صدها أحمد مرات ومرات في السابق حينما كانت على أرضه ، اليوم هو على أرضها ولا بد أن يلعب بقواعدها هي .

كان أحمد يدرك ذلك جيداً وهي تسأله في غنج عن توقعاته لمبلغ البيع ، تتأود وهي تتأمل الصور في يده ، ثوبها يضيق على جذعها مع كل انثناء ليبرز استدارة رديفها ، عنقها الطويل يزينه الكردان الأثرى ليزيده غموضاً، ذات الكردان الذي كان يستقر على عنق تلك المرأة الفرعونية في تابوتها .

كانت تمارس على أحمد إغواء لم تمارسه على رجل من قبله حتى صبور نفسه ، ولكنه ما زال إغواءً رخيصاً فظلاً ساذجاً ، كله جسدي وكأنها تعلمت الإغواء من نجومات الإغراء في السينما

المصرية ، النجمات المسنات ، مترهلات الجسد ، مجمعات البشرة ،
المثيرات للشفقة أو الاشتماز ليس إلا .
وكما فشلت نجمات خريف العمر فى أداء أدوار الإغراء بمصداقية ،
فشلت بلقيس أيضاً فى إغواء أحمد السيد الذى ضحك فى وجهها ،
وأخبرها أن تطمئن ، واستأذن مغادراً الدار باحثاً عن أوزو .

كان أوزو يستمع إلى الراديو ويصنع مزيداً من الشاى فى ذات
مجلسه ، فجلس أحمد بجواره وكاد يتحدث معه إلا أن أوزو نهره
عن الكلام بأشارة خفية ، وهو يمنحه كوباً من الشاى ، وأغلق
عينيه وتظاهر بالنعاس ، ظل أحمد السيد صامتاً لبرهة يستمع إلى
الراديو هو الآخر ، ويجرع الشاى حتى جاءت بلقيس فى ثوب آخر
أكثر رقيقاً واحتشاماً لتدعوهما للعشاء .

يقول أوزو وهو يحزم حقائبه ، ويأمر أحمد بالمثل :

— الناس دى ناوية غدر ، إحنا لا زم ننفذ بجلدنا حالاً .

أحمد مندهشاً :

— فى آيه مش تفهمنى .

ولم ينطق أوزو بكلمة إلا بعدما اطمأن على الحقيقتين المحزمتين ،
وعلى استعدادهما للرحيل المبالغت فجلس على السرير ، وأشعل
سيجارة بقداخته (الرونسون) ذهبية اللون والتي جاء بها من اليونان
ولا يستعملها إلا في مناسبات معدودة ، وقال :

- أنا كنت سايبهم يتكلموا وعامل نفسى مش سامعهم ،
دياب ده هيرجع (ذهب) دلوقتى ، وهو عنده ناس داينة
على حاجة فرعونى ومضمونين ليهم ، وأحنا كده بقى
مالناش لازمة عندهم ، وأحنا ف قلب دارهم وناسهم ما
نضمنش هيعملوا فينا إيه .

كان أحمد يصطدم بالحقيقة تلو الأخرى ، وأسقط فى يده ، فقال
لصديقه بهمس مذعور :

- قوم بينا دلوقتى ، مستنى إيه ؟
- مستنى الليل يكبس والبلد كلها تنام ودياب يكون ركب
الطريق ، نقوم إحنا نطلعوا من سكات ونشوفوا أى حاجة
تطلعنا م البلد دى على خير .

لم يكن أوزو ينوى مغادرة المولد بلا حمص ، كان يريد سرقة أى شيء من المقبرة خف وزنه وزاد ثمنه ، كانت (الونائيس) الذهبية تداعب أحلامهم ، كان عددهم ٣٦٥ وناسة بعدد أيام السنة كلها، كان قد أحصاها مثلما حصر كل محتويات المقبرة ، كانت الونائيس كثيرة العدد وما كانوا يلاحظون اختفاء قليل منها ، وهكذا تظاهر أوزو وأحمد بالنوم حتى تجاوزت الساعة منتصف الليل ، فقام أوزو فى هدوء كئى يذهب إلى الحمام المجاور لغرفة المعيشة وتسلى بالقرب من حجرة نوم صبور حتى أدركت أذناه تأوهات بلقيس المتناعة وتهدج أنفاس صبور ، فعاد مسرعا لأحمد كئى يعلق حقييته على كتفه ويأمر أحمد بالمثل وينطلق به خارج الحجرة حتى وصلا إلى الفتحة التى فتحها بنفسه ظهر اليوم .

يهمس أحمد : ما تيجى نمشى على طول بدل ما حد يكبس علينا وإحنا جوه .

أوزو حانقاً : ونسيب كل ده ونطلع كده سلط ملط ، وبعدين اطمن صبور و بلقيس ظايطين دلوقتي ولا هيحسوا بينا حتى لو فجرنا ديناميت تانى .

لم يعلق أحمد ، وعبر الفتحة مهتدياً بضوء باهت مبعثه لهيب قداحة أوزو الذهبية ليقترح معه حرمة الموتى ، ويخالف القانون ويغدر بمن أطعمهما وآواهما ، ثم يفر مع الفجر كأنه بطل فيلم أمريكي سخيف ، كانت تلك الأفكار تعصف بعقل أحمد ويدوى قلبه من الرعب .

كانت (الونائيس) تتألق بضوء خفيف ، دافئ ، حنون على قرنية العين بدرجة طغت على ضوء قداحة أوزو فناولها لزميله ، وراح يحشر في جيوبه ما طالته يده من هذه الأصابع سحرية الخواص التي يضوى الواحد منها في قبضة أوزو فتظهر تفاصيلها التشريحية كأنها أشعة (رونجن) ، كان يبدو لأحمد أن أوزو سيستمر في حشرها في طباط ثيابه حتى تنفذ الكمية أو أن تقوم الساعة ، وبغته سطع في وجهيهما ضوء قوى مبهر عمى بصرهما لثوانى وصرخ أوزو فجأة كمن لدغه عقرب ، وسمع أحمد صوت أزيز وشعر بقطرات من سائل لزج تتناثر على وجهه ، كل هذا في لحظة واحدة لتتضح له بعدها الرؤية جلية واضحة لا تثريب فيها .

كان صبور واقفاً أمام مدخل الكهف يسد عليهم منفذ الهرب الوحيد بصدرة العريض العارى قوى البنية ، والعرق يغمر جسده

بأكمله ، يرتدى سروالاً غير محكم الربط ، حافى القدمين ، يبدو كـمقاتلى الحروب الهمجية ، بربرياً يذبح خصومه الأقوياء ويأكل أكبادهم النيئة ، ملامحه تكون لوحة فى غاية الإتقان تعبر عن الغضب ويده تصوب نحوها مسدس (حلوان عيار ٩ مم) مزود بكاتم صوت يشى بتاريخ أسود من الاغتيالات ، وتتصاعد الأبخرة من فوهته الغليظة قبيحة الشكل .

ومن خلفه تقف الملعونة بلقيس فى ثوب نوم أحمر اللون شديد الشفافية لا ترتدى شيئاً سواه فلا يستر من عورتها شيئاً بل يزيدهم تجسيداً ، وتحمل فى يدها كشافاً يدوياً ضخماً الحجم يلقى ظلالاً مخيفة على ملامح وجهها ، لتظهر مع شعرها الشائر وحاجبيها اللذين أزالـت نصف سمكهما بالموس كالشيطانين فى رسومات مطربات موسيقى الميتال (موضة العام) وموديلاتهما ، وراحت تضحك فى ثماتة ضحكة طويلة ماجنة مرعبة تنذر نهايتها بسفك الدماء .

كان أحمد يدرك أنها النهاية ، لقد تم ضبته متلبساً فى مسرح الجريمة يتأهب للهـرب بغـنيمته ، ويا ليتها كانت شرطة الآثار تلك التى

داهمتها ، فما كان مصيرهما يكون .مثل هذا السوء لحظتها ، أدرك
أحمد أنه يواجه صبوراً المسلح الغاضب لحد الجنون ، بينما أوزو
ملقى على الأرض يتأوه ، والدماء تغرق جانبه الأيسر و بلقيس
تقف عند رأسه لتضحك وتستمر فى الضحك .

صاح فيه صبور وهو يركله فى موطن الجرح بوحشية :
- سرقت إيه يا بن الكلب يا وسخ .

لم يجب أوزو واستمر فى التألم والصراخ فجالت عينها صبور فى
المكان لتستقرا على الونائيس ، وراح يعدهم بعينيها ليدرك النقص فى
عددهم ، ثم استأنف :

- نهار أبوك مش فايت سرقت م الونائيس ، عايز تبوظ لى
البيعة ، ما تعرفش أن الونائيس دى مجموعة على بعضها ،
ما تتباعش غير وهى كاملة ولو نقصت واحدة بس يبقى
ما لهاش عازة .

كان يكلمه وهو يقترب منه حتى انحى عليه ، وقبض على ثيابه
وشرع يفتشهم فى شراسة الذئاب ، ويستخرج منه تلك المصائب
التي أدت للخراب والدم وهو يسدد المسدس إلى جبهته .
ثم أخيراً نطقت بلقيس لتقول بلهجة تقطر سخرية وشماتة :

- كنتم فاكرينا أجفال ، هنسيوكوا تُهربوا بالكتر اللي لجيناه
ف أرضنا ، بقى بعد ما أمناكم تخونونا ، ع كل حال
الحق هيرجع لصاحبه وإحنا لينا صرفة فيه بعيد عنيكم.
كان أحمد السيد يقف مذهولاً لم ينس بنت شفة ، لا يعرف ماذا
يفعل ؟ يبحث ببصره عن منجى كالمجذوب ، حتى فتح أوزو فمه
ليهمس بشيء ما ، فاقترب منه صبور لينصت السمع ولكن أوزو
- ريب الحواري - لم يكن صيداً سهلاً أبداً.
لقد بدا لأحمد صوت تحطم أنف صبور الذى صدمته قبضة أوزو
اليسرى - المنطلقة كالطورييد - أقوى من صوت تصادم
السيارات المسرعة بعضها ببعض ، ثم على الفور سمع التكة المعدنية
المميزة لفتحة المدية (قرن غزال) التى لم يكن يعرف أن أوزو يحمل
منها واحدة ، وفى ثانية واحدة وجدها تشق ذراع صبور بالطول
ليصرخ كامرأة تعانى عسراً فى الولادة ، ويطير المسدس من يده
وبعدها يجد أوزو يلقي بثقله كله على صبور ، ويلتحم معه فى
صراع عنيف بعدما أصبح كل منهما مصبوغاً بدمائه ، لا ترى له
ملمحاً واحداً ، وسارع أحمد زاحفاً على الأرض لالتقاط المسدس
من خلف الصندوق الخشبى الكبير ، وما كاد يرفع عينيه حتى وجد
نفسه يحرق فى فوهته المخيفة المصوبة إلى جمجمته ، ويطل من أعلى

وجه بلقيس واثقاً مسيطراً يأمره بالثبات ، وصرخاتها تأمر أوزو بالاستسلام.

كان أوزو قد سلخ جلد صبور من كثرة الجروح القطعية التي أصاب بها جذعه ، ولكنه بالرغم من هذا إلا أنه ظل متمالكاً نفسه واقفاً على قدميه ، بينما أوزو يترنح في وقفته ، و بلقيس واقفة تبدل اتجاه مسدسها بين وجهه ووجه أحمد السيد الذي بدا له المشهد طويلاً ممتداً لن ينهيه إلا تدخل ملاك الموت لقبض أرواحهم أجمعين.

أحمد السيد ...

الذى هام بليلى وتركها تذوب من بين أنامله دون أى حراك. الذى طارده بسمة فتركها تقتنصه دون أدنى محاولة للفرار. الذى انتزعه أوزو من بيته فى الإسكندرية الرائعة كى يلقي به فى هذا الحب الخانق المظلم فى هذا المكان غير المدرج على أية خارطة ليتركه ويموت فى انتظار لحاقه به بعد خمس دقائق.

أحمد السيد الذى يقبض بيده على قداحة (رونسون) ذهبية عيار ١٨ ، كانت ملكاً لأوزو الذى قهاوى على ركبته أمام صبور الذى

لا زال قائماً على قدميه برغم جراحه التي تحتاج إلى عشرة أمتار من الخيط الطبي لتقطيعها.

أحمد السيد الجالس على الأرض أمام عاهرة تملك مسدساً فتك بصاحبه ، ويستدير كي يقتله هو الآخر.

أحمد السيد الجالس بجوار صندوق متفجرات به دسنة أصابع ديناميت باقية منذ حفل البارحة.

هل كانت البارحة حقاً. لا يهم فقد قال دياب إن التفجير العشوائي للديناميت سيؤدي إلى هدم الكهف فوق رؤوسهم أجمعين.

قالها في ثقة بالغة كأنه هدم جبلين من قبل.
هل كان محقاً في ذلك؟..
كذا تساءل وهو يشعل قداحته.

{ تمت }